مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

دلالة الصورة اللونية في شعر لميعة عباس عمارة

سعاد جبير سلطان عبد الله الشبلاوي
جامعة كربلاء ، كلية الادارة والاقتصاد ، قسم الاقتصاد

التخصص العام للبحث: اللغة العربية	التخصص الدقيق للبحث: ادب

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

الصورة اللونية، الشعر العراقي الحديث، لميعة عباس عمارة، الدلالات الرمزية

المستخلص باللغة العربية:

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الصورة اللونية في شعر الشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة، إحدى أبرز الأصوات الشعرية النسائية في الأدب العربي المعاصر، والكشف عن أبعادها الدلالية والجمالية من خلال مجموعتيها الشعريتين الأخيرتين: "لو أنبأني العراف" و"البُعد الأخير". تنطلق الدراسة من أهمية الصورة الشعرية كعنصر أساسي في البناء الفني للنص الشعري، وتركز على الصورة اللونية تحديداً لما تتمتع به من قدرة فائقة على إثارة المشاعر وتحريك الوجدان، فضلاً عن دورها في تجسيد المعاني المجردة وتقريبها إلى أذهان القارئين. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي مع الاستعانة بمنهج الإحصاء لتحري الدقة والشمولية في تتبع الألوان ودلالاتها في النصوص الشعرية المدروسة. تكشف النتائج أن الشاعرة اعتمدت بشكل أساسي على الألفاظ غير المباشرة للألوان أكثر من الألفاظ المباشرة، حيث بلغ مجموع الألفاظ غير المباشرة (75) لفظة مقابل (19-29) لفظة مباشرة في كلتا المجموعتين، مما يدل على ميلها إلى الإيحاء والرمزية اللونية. يهيمن اللون الأسود على المشهد الشعري بتكرار يصل إلى (38-35) مرة بالألفاظ غير المباشرة، مما يعكس الحالة النفسية للشاعرة وانشغالها بمفردات الحزن والقلق والخوف من خلال ألفاظ مثل "الليل، الظلام، الغروب، الخوف، الحروب". يأتي اللون الأبيض في المرتبة الثانية بتكرار (12) مرة غير مباشرة، مرتبطاً بدلالات الأمل والنور والطهارة من خلال ألفاظ "الفجر، القمر، الضوء، النجوم"، بينما يأتي اللون الأخضر في المرتبة الثالثة مرتبطاً بالطبيعة والحياة والأمل من خلال "العشب، الأشجار، الربيع، الحدائق". أما اللون الأحمر فيحمل دلالات متنوعة تتراوح بين الحب والعنف والتضحية من خلال "الدم، الورد، الشهيد"، بينما يأتي اللون الأزرق مرتبطاً بالطبيعة والسكينة من خلال "البحر، السماء"، واللون الأصفر بأقل حضور مرتبطاً بـ"الخريف، الشمس، القمح". تؤكد هذه النتائج أن لميعة عباس عمارة لم توظف الألوان عشوائياً، بل استثمرتها كرموز شعرية متقنة تحمل إشارات ومضامين رمزية متميزة تعكس رؤيتها للوجود وتجربتها الذاتية كامرأة عربية عاشت تحولات القرن العشرين السياسية والاجتماعية، وتجسد آمالها وآلامها وأحلامها المكسورة بطريقة فنية مبتكرة تسهم في إثراء التجربة الشعرية العربية المعاصرة وتقديم نموذج متميز لتوظيف اللون في الشعر كوسيلة تعبيرية ذات أبعاد نفسية واجتماعية وسياسية عميقة.

doi: https://doi.org/10.63797/bjh.

1. مقدمة

تُعدّ الصورة الشعرية من أهمّ العناصر التي تُشكّل البناء الفني للنص الشعري، وتُسهم في إثراء دلالاته وتعميق تأثيره الجمالي على المتلقي، وقد حظيت باهتمام النقاد والباحثين منذ القدم، إذ أدركوا دورها المحوري في تشكيل المعنى وإبراز الأبعاد الفنية والجمالية للعمل الأدبي. وتتنوع مكونات الصورة الشعرية لتشمل العناصر الحسية المختلفة كاللون والصوت والملمس والرائحة والطعم، غير أن الصورة اللونية تحتلّ مكانة متميزة بين هذه العناصر لما تتمتع به من قدرة فائقة على إثارة المشاعر وتحريك الوجدان، فضلاً عن دورها في تجسيد المعاني المجردة وتقريبها إلى أذهان القارئين من خلال الربط بين الأحاسيس النفسية والمدركات البصرية.

يُعتبر اللون من المفاهيم المعقدة التي تشكل جانباً أساسياً من التجربة الإنسانية في إدراك العالم المحيط، ولا يقتصر تأثير الألوان على تعزيز قدرات الإنسان التمييزية وحسب، بل يمتد ليشمل التأثير العميق على الحالة النفسية والعاطفية. تمثل الألوان واحدة من أبرز مظاهر الجمال والثراء في الحياة البشرية، حيث استطاع الإنسان من خلالها أن يُثري تجربته الحياتية ويضفي عليها لمسات من الروعة والبهاء التي تفوق قدرة الوصف وتتجاوز حدود التخيل. نتيجة لهذه الأهمية البالغة، «أولت اللغة العربية اهتماماً استثنائياً بعالم الألوان، وقد تجلى ذلك بوضوح في أعمال الشعراء والخطباء العرب، وقد وصل هذا الاهتمام إلى درجة أن موضوع الألوان أصبح يحظى بفصول مستقلة ومتخصصة في المؤلفات اللغوية للعلماء المشهورين»[1].

ولعلّ الشعر العربي المعاصر قد شهد تطوراً ملحوظاً في توظيف الألوان شعرياً، إذ لم تعد مجرد عناصر زينة أو وصف خارجي، بل تحولت إلى رموز ودلالات عميقة تعكس رؤى الشاعر الفكرية والفلسفية، وتُجسّد تجاربه الشعورية والوجدانية بطريقة فنية مُبتكرة. وفي هذا السياق، تبرز تجربة الشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة كواحدة من أهمّ التجارب الشعرية النسائية في الأدب العربي المعاصر، حيث استطاعت أن تُحقّق حضوراً متميزاً في المشهد الشعري العربي من خلال شعرها الذي يمتاز بثراء صوره وتنوع مضامينه وعمق رؤاه الإنسانية.

وقد لفت انتباه الباحثين والنقاد توظيفها المُتقن للصورة اللونية في نصوصها الشعرية، إذ تُوظّف الألوان ليس كعناصر جمالية فحسب، بل كوسائل تعبيرية تحمل دلالات نفسية واجتماعية وسياسية عميقة، تعكس من خلالها تجربتها الذاتية كامرأة عربية عاشت أحداث القرن العشرين وتحولاته السياسية والاجتماعية، وتُجسّد آمالها وآلامها وأحلامها المكسورة.

يسعى هذا البحث للإجابة على تساؤل رئيس يتمثل في: إلى أي حدٍّ استثمرت الشاعرة الألوان، صراحةً أو ضمناً، في منجزها الشعري؟ وما أبرز المعاني التي استهدفتها من خلال توظيف هذه الألوان؟ وكيف أسهم اللون في إثراء الصورة الشعرية وتنمية البُعد التخييلي؟ وما الغايات الدلالية التي سعت إليها عبر استخدام الطيف اللوني المتعدد؟ وتنطلق الدراسة من فرضية أساسية مفادها أن الألوان المتنوعة تجلّت في إبداع لميعة عباس عمارة متسقة مع رؤيتها الخاصة للوجود والمفاهيم التي تروم إيصالها للقارئ؛ فهي لا تستعملها عشوائياً، بل تحمل إشارات ومضامين رمزية متميزة تظهر في التعبيرات الصريحة كالأسود والأبيض والأحمر، وفي التعبيرات الضمنية كالليل والدم والفجر. وتفترض الدراسة أن مدلولات الألوان لدى الشاعرة تتباين إلا أن رموزها تتقاطع في مجالي اللون الصريح واللون الضمني، وأن للون تأثيراً بالغاً في الارتقاء بشعرها تخييلاً وجمالاً، ويسهم في تقديم رؤيتها الفكرية وتشكيلها الفني، وأن الهدف الذي دفعها إلى توظيف الألوان هو إثراء الخيال وإدخال شعرها في عالم الطبيعة بما يتناسب وذوق المتلقي الذي ينجذب للمشاهد الطبيعية.

تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في تحليل النصوص الشعرية، وذلك لتبيّن كيفية توظيف الألوان وما تحمله من دلالات فكرية وجمالية، كما يُستعان بالمنهج الإحصائي في رصد تكرار الألوان وأنماط حضورها في دواوين الشاعرة، تحقيقاً للدقة والشمولية في النتائج. ويرتكز تحليل النصوص على المجموعتين الأخيرتين للشاعرة: "لو أنبأني العراف" و"البعد الأخير" نموذجاً لدراسة الصورة اللونية في شعر لميعة عباس عمارة.

وقد تناولت دراسات عديدة موضوع اللون في الشعر العربي، ومن أبرزها: دراسة أحمد مقبل محمد منصوري حول اللون في الشعر الأندلسي التي تناولت الظاهرة من زاويتيها البلاغية والدلالية، ودراسة أحمد مختار عمر "اللغة واللون" التي درست العلاقة بين اللغة وتعبيرها عن الألوان وأثرها في الحياة والكون، ودراسة عبد الله أحمد باقازي حول عنصر اللون في شعر المتنبي التي حلّلت الدلالات الرمزية للألوان المختلفة، ودراسة عبيد شحادة "اللون ومقامات النفس: شعر زهير بن أبي سلمى مثالاً" التي ركّزت على الإيحاءات النفسية للألوان ودورها في صياغة التجربة الشعورية. أما فيما يتصل بشعر لميعة عباس عمارة فقد تناولته دراسات متعددة من زوايا مختلفة، منها: دراسة عبد العظيم رهيف السلطاني حول الوعي الثقافي النسوي في شعرها التي تناولت تأنيث المكان والرموز التراثية، ودراسة سفانة داود سلوم حول صورة الرجل في شعرها التي بحثت في تمثيل صورتي الرجل والمرأة، ودراسة صدام فهد الأسدي حول الوطن في شعرها التي تناولت دلالات الوطن وتجليات الانتماء. ومع ذلك، لم تتناول أيّ من هذه الدراسات البنية اللونية في شعر لميعة عباس عمارة تناولاً مستقلاً وشاملاً، مما يمنح هذه الدراسة

طابعها التجديدي، إذ تسعى إلى الكشف عن رمزية اللون في شعرها من خلال تحليل مستفيض لمستوياته الدلالية والجمالية.

2. التمهيد:

أوّلا: حياة الشاعرة:

حياة تُمثّل الأديبة العراقية لميعة عباس عمارة واحدة من أهم الأصوات الشعرية الرومانسية في المشهد الثقافي العراقي المعاصر. وُلدت هذه الشاعرة المتميزة في عام 1929م لعائلة مندائية صابئية في منطقة الكريمات، وهي منطقة تقع في قلب بغداد القديمة على ضفاف نهر دجلة، تحديداً في جانب الكرخ بين جسر الأحرار والسفارة البريطانية.

يُنسب لقب "عمارة" إلى مدينة العمارة، موطن والدها الأصلي. أكملت تعليمها الثانوي في العاصمة، ونالت شهادة دار المعلمين العالية عام 1950م، حيث عملت بعدها مدرّسة في دار المعلمات، وتخرجت نهائياً من دار المعلمين العالية في 1955م. وتجدر الإشارة إلى أنها ابنة خالة الشاعر الإسلامي عبد الرزاق عبد الواحد، الذي وثّق في مذكراته جوانب متنوعة من شخصيتها القوية ونفسيتها الأبية. قضت الشاعرة معظم سنوات منفاها في الولايات المتحدة الأمريكية بعد هجرتها من العراق إبان فترة حكم النظام الدكتاتوري لصدام حسين. شغلت مناصب ثقافية وإدارية مهمة، منها عضويتها في الهيئة الإدارية لاتحاد الأدباء العراقيين ببغداد (1963-1975م)، وعضوية الهيئة الإدارية للمجمع السرياني في بغداد، بالإضافة إلى منصب نائب الممثل الدائم للعراق لدى منظمة اليونسكو في فرنسا (1973-1975م). كما تولت إدارة الثقافة والفنون في الجامعة التكنولوجية ببغداد، وحصلت على وسام فارس من الدولة اللبنانية عام 1974م.[2]

أما عن مرحلة الطفولة، فقد عاشت لميعة طفولة مُرّة مليئة بالأسقام والعلل الصحية.[3]

. كانت زميلاتها يتجنبنها خشية العدوى، فيمرحن ويلعبن بينما هي عاجزة حتى عن الوقوف أو المشي ببطء. وما زالت تحتفظ بذكريات مؤلمة عن نظرات الشفقة من زميلاتها وهمساتهن حولها: "لميعة مسلولة... انظرن كيف تسعل المسكينة. [4]

هذه التجارب المبكرة تركت بصمة عميقة على شعرها وطريقة نظرتها للمرأة في بداية حياتها الأدبية. ومن دواوينها الشعرية: 1. الزّاويّة الخاليّة عام 1959م. 2. عودة الربيع في سنة 1962م. 3. أغانيُّ عشتار عام 1969م. 4. عراقية في سنة 1971م. 5. يسمونه الحبّ 1972م. 6. لو أنبأني العرّافُ في سنة 1980م. 7. البعد الأخير عام 1988م. 8. أنا بدويب دمي (بالعاميّة).

ثانياً: التعريف بالصورة اللونية:

تُشكِّل الألوان عُنصراً حيوياً في إثراء التجربة الإنسانية وإضافة البهجة إليها؛ فاللون ليس مجرد ظاهرة بصرية، بل هو رفيق دائم يتخلل تفاصيل وجودنا ويتداخل مع كافة جوانب محيطنا. ومن الملاحظ أن استثماراتنا في الجوانب الجمالية - سواء تعلق الأمر بإطلالتنا الشخصية، أو بالتصميم الداخلي لمساكننا، أو حتى بالمظهر الخارجي لها - تفوق بمراحل كثيرة ما نخصصه للاحتياجات المعيشية الأساسية. وفي هذا السياق، يبرز اللون كأحد أبرز المكونات الجمالية التي نوليها عناية خاصة، حيث نسعى للاستفادة من خبرات المختصين وتوجيهات الخبراء لتحقيق أفضل النتائج الممكنة في هذا المجال[5].

ولقد تناول الدارسون والنقاد، سواء في العصور السابقة أم الحديثة، بتفصيل واسع الأثر الذي تحدثه الألوان في بناء الصورة الشعرية واستخدامها كرموز دلالية. وقد شدد بعض هؤلاء الباحثين على أهمية توظيف التنوع اللوني كعنصر أساسي في تكوين الصورة الشعرية. ومن هؤلاء الناقد المعاصر علي البطل، الذي يؤكد على المنابع التي تسهم في تشكيل التصاوير الشعرية، ويولي اهتماماً خاصاً بوظيفة اللون وتدرجاته في بنية الصورة؛ وقد عبر عن ذلك بقوله: «... ويدخل في تكوين الصورة بهذا الفهم، ما يعرف بالصورة البلاغية من مجاز، وتشبيه، إلى جانب التقابل، والظلال، والألوان؛ وهذا التشكيل يستغرق اللحظة الشعرية، والمشهد الخارجي»[6].

ويمكننا القول: «إنَّ الشّاعر أياً كان، يوظف صوراً ملوّنةً تضفي على خطابه الأدبي جماليّةً خاصَّةً، تنبعث في كلّ ركن من أركان بناءه التركيبية»[7].

كما يمكن القول: «إنّ اللّون هو لغة اللّوحة الخاصَّة، بل ربّما اللُّغة الرّمزية الّتي يستخدمها الشّاعر في إبداعه بما يحمل من دلالاتٍ غنيّةٍ، كما أنّ هناك علاقة مكمّنها الشّعور، تربط بين اللون، واللغة، والفكر، والزمان، والمكان، وهي علاقة إيحائية جمالية تمنح العمل الفنيَّ قيمة جماليّةً مستقلّة ...، لإخراج اللّون من مجرّد كونه كلمة أو مفردة أو مجرّدة صبغ على الورق تراه العين، إلى أن يكون عالماً واسعاً غنياً، يفتحُ الباب واسعاً أيضاً أمام المتلقي».[8]

فيمكن تعريف الصورة اللونية في مجال الشعر والأدب بوصفها آلية تعبيرية فنية يوظف من خلالها الشاعر الألوان كرموز دلالية وعناصر جمالية لإثراء النسيج الشعري وتعميق البعد الإيحائي للنص، حيث تتجاوز الألوان وظيفتها البصرية المباشرة لتصبح لغة رمزية تربط بين اللون والمعنى والفكر والمكان والزمان في علاقة إيحائية متكاملة.

ومن يتأمل في ديوان لميعة، يلاحظ اعتمادها الواضح على استخدام الألوان كعنصر أساسي في لوحاتها الشعرية، حيث نجد أن الشاعرة العراقية تصبّ انفعالاتها الداخلية ومشاعرها النفسية في طيف الألوان المتنوعة، فتكشف من خلالها عن معانٍ مستحدثة. يبدو وكأن شاعرتنا العراقية تدرك تماماً أن «للألوان قوة تأثيرية شاملة وحسية في وجدان المتلقي ومزاجه وسجيته، فهي ترتقي بالروح مثلما تفعل الموسيقى، وتمنح بذلك شعوراً بالراحة النفسية»[9] وهذا التأثير لا يقتصر فحسب على إمتاع الحاسة البصرية وإشباع الذوق الجمالي.

تتميز أعمال الشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة بحضور لافت للطيف اللوني المتنوع، الذي ينسجم بدقة مع فلسفتها الإبداعية والمضامين التي تسعى إلى بلورتها أمام المتلقي. إن توظيف هذه الألوان لم يأت اعتباطياً، بل يحمل في طياته مغازي رمزية بالغة العمق، تتجلى من خلال الإشارات المباشرة كالأسود والأبيض والأحمر، إضافة إلى الإيحاءات غير المباشرة المتمثلة في الليل والدم والفجر وغيرها من الصور المشحونة بالدلالة.

انطلاقاً من هذا المنظور، نقدم دراسة تحليلية شاملة لرمزية الألوان في النتاج الشعري للشاعرة لميعة عباس عمارة، وفق منهجية تقوم على ركيزتين محوريتين:

الركيزة الأولى: الدلالات اللونية المباشرة

الركيزة الثانية: الدلالات اللونية غير المباشرة

وبناءً على هذا التصنيف المنهجي، سنشرع في استكشاف تفصيلي للدلالات اللونية المباشرة في الإرث الشعري لهذه المبدعة العراقية المتميزة:

1. المبحث الأوّل: الألوان المباشرة:

تتألفُ طبيعتُنا مِن عناصرَ مُختلفةٍ ومُتعددةٍ، منها: المحيطاتُ والفضاءُ والنباتاتُ والأحراشُ والهضابُ والقِفارُ وغيرُها... ولكلِّ عنصرٍ مِن هذه العناصرِ طابعٌ لونيٌّ خاصٌّ به. وبمعنىً آخر، نتعاملُ يومياً مع مشاهدَ طبيعيةٍ ذاتِ ألوانٍ مُتباينةٍ، كزُرقةِ المحيطاتِ، وخُضرةِ الأحراشِ، وحُمرةِ الورودِ، وسوادِ الظلامِ، وبياضِ الجليدِ وسواها... ومِن ثَمَّ، يُعدُّ اللونُ مكوناً أساسياً في بيئتِنا وفي الفصولِ الّتي نعيشُ فيها، كما يؤدّي دوراً محورياً في وجودِنا، حيثُ نوظّفُهُ لتجميلِ ملابسِنا وتنسيقِها، وكذلك لتزيينِ المبانِي والأغراضِ المتنوعةِ.

يمكن تصنيف الألوان المتنوعة حسب طريقة استعمالها إلى مباشرة وغير مباشرة، بالإضافة إلى الألوان الأساسية والثانوية؛ فأمّا التوظيف المباشر للألوان، فيظهر في ذكر مسمّى اللون أو التعبير المخصص له، نحو الأسود والأحمر والأزرق والرمادي، ومشتقاتها المستمدة منها كالحمراء واحمرار. وأمّا توظيف الألوان بطريقة غير مباشرة، فيتجسد في استعمال مفردة أخرى يستخلص منها مدلول اللون المقصود؛ كاستعمال الظلام للإشارة إلى الأسود، والدماء للدلالة على الأحمر، والبابونج للتعبير عن الأصفر. أو كتوظيف المحيط للإشارة إلى الأزرق؛ وكأنّ جميع البشر يدركون المحيط بهذا اللون. ومن الجليّ أنّ استعمال الألوان غير المباشرة يتمُّ من خلال توظيف الوسائل والتقنيات البلاغية كالاستعارة والتشبيه والكناية. ونخلص إلى أنّ المفردات الدالة على الألوان غير المباشرة أشمل وأغنى من الألفاظ المباشرة للألوان، لأنّ نطاقها يشمل كافة الكلمات الّتي تؤدّي وتفيد مفهوم لون من الألوان المختلفة بشكل من الأشكال.

وهنا نُجري تحليلاً دِراسياً لدلالات الألفاظ المباشرة للألوان الّتي وظّفتها الأديبة العراقية في ديوانيها: «لو أنبأني العرّافُ» و«البعدُ الأخيرُ»، معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي:

1-1. اللون الأخضر:

يُعَدُّ هذا اللون من أكثر الألوان انتشاراً وذيوعاً في المشهد الشعري العربي الحديث، كما يحتل مكانة خاصة بين الألوان المفضلة التي تحمل إيماءات ومعانٍ غامضة متعددة الأبعاد، «نظراً لصلته الوثيقة بعناصر جوهرية في الطبيعة منذ القِدم، مثل الكائنات النباتية والأحجار النفيسة، ثم جاءت التصورات العقائدية لتعمق هذا التصور من خلال ربطه بالإخصاب والفتوة، وهما مصدرا سعادة البشر»[10].

وبتعبير آخر، فإن هذا اللون «رفيق الشجرة، وأيقونة الوجود والانبعاث، فضلاً عن اقترانه بالمزارع والبساتين، وسكينة النفوس».[11]

الناظر في التراث الأدبي القديم، يلاحظ أن اللون الأخضر كان يقتصر عند الأقدمين تقريباً على الإخصاب والنباتات والحياة والأشجار وألوان الأقمشة، وبعض المخلوقات البسيطة التي لها وجود محدود في معيشتهم، غير أن هذا اللون كان محبوباً في الأعم الأغلب، حيث يمثل رمزاً للخير والإخصاب، فكان التغزل به شائعاً على ألسنة الكتاب والشعراء.

وبالنسبة لمن يتناول الأدب الحديث بالدرس، فسيكتشف أن اللون الأخضر يأتي في المقدمة من حيث الظهور في قصائد الشعراء؛ إذ يمثل هذا اللون نوعاً من التفاؤل، وعلامة على الرجاء والحياة والتجديد. وفي هذا السياق نتناول بالبحث اللون الأخضر ومدلولاته في شعر لميعة عباس عمارة.

تقول الشاعرة العراقية في أنشودة عنوانها شتاء باريس:
«أشجَارُ حَدَائِقِهَا حَطَبٌ لا ينتَظِرُ الفَأسَ / وَقَلبٌ أخضَر / وَرِذاذُ المطَرِ الأنعمِ مِن كفّي حبيب / يلمسُ شَعري، خَدّي، شَفَتَيَّ / وَأهدَابِي / آهٍ ما أبعدَ أحبابي»!![12]

غادرت عمارة العراق في عام 1978م لتبدأ رحلة التنقل عبر البلدان، منتهية المطاف بالاستقرار في الولايات المتحدة الأميركية. خلال هذه الرحلة، أمضت فترة في العاصمة الفرنسية باريس، حيث شغلت منصب نائب الممثل الدائم للعراق لدى منظمة اليونسكو.
لقد صوّرت الأديبة العراقية مدينة باريس شعرياً في قصيدتها "شتاء باريس"، مستحضرة جمال طبيعتها الآسر، غير أن نبرة الأسى والشوق للوطن والحنين للأحبة قد غلبت على معظم أبياتها، مما يستدعي في ذهن القارئ السمات الرومانسية المميزة. والمتأمل في هذه القصيدة يلاحظ أن الشاعرة العراقية - وسط هذا المناخ الاغترابي - تتطلع بشغف للقاء من تحب.
بعبارة أكثر وضوحاً: استطاعت لميعة عباس - بفضل خيالها الثري وموهبتها الشعرية - أن تدرك القوة الإيحائية للألوان في تشكيل الصورة الشعرية، فنراها توظف اللون الأخضر كرمز للأمل عندما تقول: "قلب أخضر". والحقيقة أن الشاعرة العراقية، برغم كل ما عاشته، ما زالت تنبض خضرة وأملاً وحباً.
ومن المعاني التي يحملها اللون الأخضر: البهجة والفرحة والانشراح. وفي مقطع آخر من دواوينها، عندما تستعيد شاعرتنا ذكريات الطفولة، نجدها تستعين باللون الأخضر في تعبيرها، وكأنها تستشرف عودة براءة الطفولة إليها: «الثَّلجُ: أهوي فَوقَ الثَّلجِ، نَضحَك يغسلُنَا المطرُ الطفل / يعيدُ طُفُولَتَنَا / في الدَّربِ الأخضَرِ مُلتَوياً / يصعدُ نَحوَ صلاحَ الدِّين ....».[13]
إليك النص مُعاد صياغته بأسلوب مختلف:
في الواقع، وظّفت الشاعرة تعبير (يعيد طفولتنا في الدرب الأخضر) كوسيلة لنقل مشاعرها وذكرياتها المفعمة بالبهجة والمرح إلى القارئ. ولعل الشاعرة تستحضر صورة العراق في حقبة ما قبل وصول الطاغية صدام حسين وحزب البعث إلى السلطة؛ إذ كان العراق ينعم بأجواء من السعادة والانشراح، وكأن الحياة آنذاك كانت فصل ربيع دائم، قبل أن يحل عليه خريف البعث القاتم.
وفي قصيدتها "التاريخ المزوّر" التي تتناول لبنان والغزو الإسرائيلي، تعبّر لميعة عباس عن رؤيتها قائلة:
«ضَجِرَ اللهُ مِنَ الوَحدَةِ / فَاختَارَ لَهُ شعباً، وَعَسكر / هَهُنَا كلُّ عَجيبَاتِ الأسَاطيرِ تُكرَّرُ / هَهُنَا الأعمَارُ لَيسَت بِيدِ اللهِ / فَأحياناً تقَصّرُ / كلُّ شَيءٍ كرَوِيٍّ مَا عَدَا الأرضَ / وَلَونُ الدَّمِ أخضَرُ / هَهُنَا اللهُ أكبَرُ! / أنَّهُ ظُلْمٌ حَقِيقِيٌّ / وَتَأريخٌ مزورٌ».[14]
يلاحظ الباحث في هذه المقاطع الشعرية أن لميعة تقدم رؤيتها الفلسفية الهادفة إلى غرس قيم المحبة؛ فالأبيات المشار إليها ترسم صورة للمقاومة الإسلامية في لبنان في مواجهة الغزو الإسرائيلي؛ واللافت للنظر في هذه السطور الشعرية أن التراكيب والتعابير تنشر روح التفاؤل بين مؤيدي لبنان، وهذا ما دفع لميعة لتوظيف اللون الأخضر كرمز للرجاء. فعلى سبيل التوضيح، تصرح الشاعرة: (ههنا الأعمار ليست بيد الله)؛ وهذا تصوير مجازي يكشف عن شوق الشباب اللبناني لقتال العدو الإسرائيلي، حيث يختارون منهج الجهاد.
يمكننا التأكيد أن الشاعرة العراقية تقدم لنا لوحة فنية بديعة جسدت فيها الطغيان الإسرائيلي عبر التاريخ. غير أن الشاعرة تكسو الأبيات بطابع متفائل من خلال استحضار هذه المفردات والكلمات وما تحمله من دلالات إيجابية، إذ تبعث روح الأمل في نفوس المسلمين.
ومن المهم الإشارة إلى أن الشاعرة عندما وظفت هذا المنهج اللوني في قصائدها، أضفت عليه بُعداً عاطفياً عميقاً، عبر صدى اللون وانعكاسه على عالمها الداخلي، كونه يعكس المشاعر والأحاسيس التي تختلج في نفسها، ولهذا جاء كحاجة نفسية أعطت الصورة قيمة عاطفية وجمالية رفيعة، وجعلتها أوسع نطاقاً وأغنى مضموناً.
وتذكر لميعة في مجموعتها "البعد الأخير":
«مِن أيّ قَطرٍ كنتَ –لَا فَرقَ- / تظِلُّ الأقرَبَاء / قُلهَا / لِتخضَرَّ، وريقَاتي، ويخضَلَّ الصِبَا / قُل: مَرحَبا».[15]
في هذه الأنشودة، تستعرض شاعرتنا التصوير المفعم بنفحات التفاؤل والأمل، بعدما اخضرّت أيامها ونبض قلبها، لعودة الحبيب. في الواقع، يأتي اللون الأخضر في كثير من قصائد لميعة عباس عمارة، دالاً على الاستبشار والأمل.
ونقرأ في أنشودة اسمها إلى محمود درويش:
«أرَح، يا حَبيبي نَظّارَتَيك قَلِيلاً / لَأُمعَنَ فِيك النَّظَرَ / فَمَا لَونُ عَينَيك؟ / هَل لِلغُرُوبِ تَميلانِ / أَم لاخضِرارِ الشَّجَرِ».[16]
وظّفت الشاعرة في هذه القصيدة التقنية اللونية كوسيلة لتعميق البُعد التخييلي في النص؛ حيث نلحظ أنها تُقدم شخصيتين متضادتين للقارئ، مُبرزة السمات النفسية لكل منهما. فعبر اللوحة الأولى، تُطالعنا بالشخصية الحزينة عندما تتساءل: (هل للغروب تميلان)، بينما في اللوحة الثانية تكشف لنا عن الشخصية المفعمة بالأمل من خلال قولها: (.. لاخضرار الشجر). وهكذا نجد أن لميعة قد وظّفت دلالة اللون الأخضر كرمز للأمل والتفاؤل.

2-1. اللون الأسود:

تحمل الألوان المختلفة في طياتها مضامين ومعانٍ نفسية عميقة، وإشارات سيكولوجية تنشأ من الأثر الفيزيولوجي الذي تتركه الألوان على الإنسان. هذا الأثر يُولّد تجربة فردية تمتزج مع المشاعر الداخلية للشخص، وتتشكل هذه الدلالات المتباينة وفقاً لتجارب الأفراد الذاتية، ولهذا نلاحظ التباين والاختلاف بين الناس حول المعاني والإشارات النفسية للألوان المتعددة.

تزخر اللغة العربية بعشرات المفردات التي تُجسّد اللون الأسود بتدرجاته ومستوياته؛ «فالبدو يقولون: هذا أسود، وللتأكيد على شدة السواد، يستخدمون: أسود حالك، وفاحم، وقاتم، وغريب، ومُصلخم، وغُرابي، وأدجن، وأدخن، وأدعج، وأدلم، وأدغم، وأسحم، وأبخس، وبهيم، وأسحمان».[17]

لقد نسجت بعض الألوان عبر دلالاتها المختلفة شبكة من الأساطير المتعددة التي تُشبع احتياجات معرفية وفكرية ونفسية عند البشر، «فارتبط اللون الأسود بالعتمة، والهبوط إلى أعماق الأرض السفلية، وبعضها مواطن الجن الأسود الذي يقترن بالضرر والشر في التصور العربي القديم».[18]

نستطيع القول إن اللون الأسود لون محايد، يتفرد بتأثيراته الساحرة على البيئة المحيطة به، وبمعانيه المتنوعة. فبينما يحمل هذا اللون مفاهيم ومعانٍ سلبية في النسيج الاجتماعي، كالأسى والفناء والوجع، فإنه يُجسّد التفرد والأناقة في مجال التصميم الداخلي، وله نغمات متنوعة ودرجات مختلفة. وكذلك، يحظى اللون الأسود في الملابس بمكانة مميزة في المناسبات الرسمية والاجتماعية، كما ترمز ربطة العنق السوداء إلى الغم والأسى.

الناظر في شعر لميعة عباس يلمس اهتمامها باللون الأسود، لتُصوّر لقارئ شعرها الأجواء الحزينة؛ كما نجد في قصيدتها بعنوان "طريق الصمت":

«قُلتُ: يا آدَمُ / دُونَكَ أشجَارُ الجنّةِ / جَرِّدهَا غُصُناً غُصُناً / إلّا شَجَر الحزنِ / فَأَنَا أفزَعُ أفزَعُ مِن أشجَارِ الحُزنِ / أعرَضتَ عَنِ الأغصَانِ المسمُوحِ بِهَا، / وَعَصَيتَ؛ / اسوَدَّت أشجَارُ الحُزنِ غيوماً / فِي عَينِي / وَبَكيتُ / مَطرُوداً تخرجُ يا آدمُ! / فَارجِع مِن حَيثُ أتَيت».[19]

في هذه القصيدة، تُعيد الشاعرة العراقية تشكيل حكاية هبوط آدم من الفردوس ونزوله إلى الأرض وفقاً لرؤيتها الخاصة، حيث تقدم سرداً يتعارض مع السردية المألوفة التي تُحمّل حواء مسؤولية الإغواء والعصيان الذي دفع آدم للتمرد على أوامر الخالق. في هذا المشهد الشعري، يظهر آدم عند لميعة بوصفه المسؤول الأول عن الخطيئة وليس حواء، وهو السبب في طردها من الجنة ومرافقتها له في النزول إلى الأرض، إذ إنه هو مَن اقترب من شجرة الحزن التي تحولت دلالتها الأساسية عن كونها شجرة الخلود.

في هذا المقطع الشعري، نسجت الشاعرة لوحة مُفعمة بالكآبة، مستخدمة مفردات تنضح بالأسى والقنوط (مثل: أفزع / بكيت / مطروداً).

وتقول الشاعرة في قصيدة بعنوان "الدَّفء البَعيد مِنَ الملجَأ":

«نسأَلُ عَن أصحَابٍ فَقَد يجتَاحُونَ إلَينَا / شَارِعٌ / سَيارَات مَحرُوقَةٌ / وَركامُ زجاجٍ، / وحَدِيدُ لَا أَدرِي مَاذَا كانَ / مَتَى الإسعَاف الدّوليّ حُطام / دكانُ القَصّابِ فراغٌ أسوَد / وَثلاثُ شَظَايا أنغرسَت / فِي فَخذِ ابنِ صَديقَتِنَا (سامي)».[20]

في هذه القصيدة، تسعى الشاعرة جاهدة لرسم مشهد حسّي واقعي للغزو المدمّر والأحداث المفجعة. فهي تقدّم للقارئ لوحة تفصيلية دقيقة تجسّد ويلات الحرب وقسوة الدمار وإراقة الدماء والخراب الشامل. تكتنف هذه المأساة أجواء محمّلة بالوجع والأسى العميق.

إنّ الناظر في هذه اللوحة الشعرية يلاحظ هيمنة اللون الأسود، حيث توظّف لميعة مفردات وتعابير تحمل في طيّاتها السواد (مثل السيارات المحترقة). تتشبّع أجواء هذا المقطع بمشاعر اليأس والخذلان.

يمكننا الجزم بأن الشاعرة العراقية تربط السواد بالحيّز المكاني، فتصوّر المكان غارقاً في السواد، وهو ما يعبّر عن عمق التيه والحسرة واليأس المسيطر. وفي تصويرها لهذا المشهد المؤلم، تستعمل عبارة "دكان القصاب فراغ أسود" لتعكس هذا الجوّ النفسي المرعب.

وعندما تروم الشاعرة إثارة المشاعر الحزينة لدى متلقّي شعرها، تلوذ باللون الأسود كوسيلة تعبيرية:

«أرقبُ رَحفَ الغيمِ الأسوَد / تَدفَعَه الرّيحُ الخَرقَاءُ / في الدّربِ الموحشِ بَينَ الهِجرَةِ وَالإصرَارِ».[21]

نلاحظ أن السحب القاتمة والرياح العاتية والطريق المقفر، تشكل جميعاً مشهداً يعكس أجواء الكآبة والحزن؛ وفي الحقيقة، يستشعر المتلقي هذه المشاعر الحزينة والحالة النفسية المكتئبة عبر الألفاظ والتعابير والدلالات اللونية (السواد) الموظفة في النص.

وفي مقطع آخر من القصيدة ذاتها، تُقدم الشاعرة لوحة فنية مفعمة بالأسى، حيث تستعين باللون الأسود كرمز لتجسد المحيط المكاني وما يحمله من دلالات الحزن والعتمة:

«الطَّيرُ تهاجِر / وَاللَّوزُ يهَاجِرُ / وَالشَّمسُ تهاجر / إلّا وَلَدِي / حرفٌ أبيضُ / فِي اللَّوحِ الأسوَدِ / فِي مَدرِسَةِ القَريةِ / وَنِسَاءٌ بِثيابٍ سودٍ، / يتمَاسَكنَ بِوَجهِ الدّبَابَاتِ».[22]

يُعبّر اللون الأسود عند المرأة عن عُمق المعاناة والأسى؛ وفي هذه القصيدة، استطاعت الأديبة العراقية أن تُجسّد من خلال هذا اللون مشاعرها المُفجعة إزاء الأوضاع والملابسات الاجتماعية القاسية. بعبارة أُخرى، شكّل اللون الأسود الوسيلة الفنية الجمالية للإفصاح عن مأساة الشاعرة الشخصية.

إنّ الناظر في هذه الأبيات يلحظ أنّ اللون الأسود قد ظهر ضمن مشاهد تنضح بالكآبة والحُزن الشديد (هجرة الطيور / هجرة اللوز / هجرة الشمس / النساء المُرتديات السواد / صمودهنّ أمام الدبابات).

وتُصرّح الشاعرة لميعة في مرثيتها المُعنونة بـ"قصيدة عُرسكما" قائلة:

«تأخّرتُ أَدرِي، وَلَن تَسمَعِي / وَإن كانَ شَخصُك يحيا مَعِي / تَأَخَّرتُ أَدرِي، وَشاءَ القَضَاءُ / أَن أَتَوَانَى، وأن تُسرعِي / قَصِيدَةُ عرسِكمَا هَذِهِ / تَرَدَّت سَوَاداً مِنَ المطلَعِ».[23]

يكشف لنا هذا المقطع الشعري عن خلفية قصيدة رثائية أبدعتها الشاعرة لميعة عباس لصديقيها محمد ونضال، كما ورد في مؤلفها "لو أنبأني العراف". تحكي الشاعرة كيف كان محمد حاضراً في حياتها من خلال زوجته نضال، تلك المرأة النابضة بالحيوية والمحبة للحياة، بشعرها المتموج المنسدل على كتفيها بأناقة. في لحظة عفوية، دخلت نضال على لميعة وهي منهمكة في كتابة إحدى قصائدها، فطلبت منها بكل براءة ودلال أن تكتب لها قصيدة. وعندما تساءلت لميعة عن كيفية ذلك، أجابتها نضال بثقة: "لقد نظم الجواهري قصيدة لي ولمحمد، فإن كان الجواهري قادراً على ذلك، فأنت أيضاً تستطيعين". ألحّت نضال في طلبها قائلة: "بالله عليك، اكتبي لنا قصيدة"، فوافقت لميعة ظانة أن الأمر مجرد مزحة عابرة. لم تكن الشاعرة تتوقع حينها أن هذا الوعد البريء سيتحول إلى مرثية مؤثرة لمحمد ونضال بعد رحيلهما.[24]

يُظهر هذا النص الظروف المؤلمة التي أنتجت هذه الأنشودة الحزينة، حيث استعانت لميعة باللون الأسود في البيت الأخير كرمز للحزن العميق الذي يخيم على روح القصيدة ويعكس ثقل المصاب.

3-1. اللون الأبيض:

إنّ اللون الأبيض يدلّ على الطهارة والحرية والسلام؛ قد وضعت العربية لهذا اللون عشرات الألفاظ التي تحدد صفاته ودرجاته؛ «قال العرب: لون أبيض، وأكدوه بقولهم: وأبيض يَقَقٌ، ولَهَقٌ، وصَرَحٌ، ولياحٌ، ولَياحٌ، ووَابِصٌ، وحضُيّ، وقضهبٌ، و... وقهدٌ».[25] أمّا الألفاظ التي تدلّ على اللّون الأبيض، فهي متنوعة؛ «فقالوا: رجل أزهر، امرأةٌ رعبوبةٌ، شعر أشمطُ، وفرَس أشهَب، وبعيرٌ أهيس، وثَورٌ لهق، وبقرةٌ لياح، وحمار أقمر، وكبشٌ أملح، وثوبٌ أبيض، وفضّةٌ يقق».[26] كما أطلقوا العرب البياض على عنصر الماء، والشحم، واللّبن، وغلبوه في مثل كلامهم: «الأبيضان: الماءُ والحنطَةُ، الشَّحمُ والشَّباب، الخُبزُ والماءُ».[27]

نقرأ في أنشودة اسمها أبو القاسم الشابي:

«تُونسُ البَيضَاءُ يا زرق الشَّبَابِيك، وَأنفاسَ / البُخُورِ / أنتِ يا سَيدَةَ البَحرِ الرَّبيعيّةَ / يا أُختَا / لصيلون، وصور / أنتِ يا أمَّ أبي القَاسِمِ، وَالشَّابيُّ يكفِيك / فَخاراً».[28]

يُعَدُّ أبو القاسم الشابي، الذي اشتُهر بلقب "شاعر الخضراء"، من أعلام الأدب العربي المعاصر وقامة بارزة في المشهد الثقافي التونسي. في الأبيات التي نتناولها، تصوّر الشاعرة العراقية موطن هذا المبدع العظيم، تلك البقعة الجغرافية الواقعة في أقاصي شمال القارة الأفريقية، والتي تجاورها الجزائر من الناحيتين الغربية والجنوبية الغربية، بينما تضم في أراضيها القسم الشرقي من سلسلة جبال الأطلس والامتدادات الشمالية للصحراء الإفريقية الكبرى.

تُجسِّد الشاعرة هذه البلاد كرمز للسكينة والخير والطمأنينة، وتُشيد بما أنجبته من عباقرة، وفي مقدمتهم أبو القاسم الشابي الذي انتشر إبداعه عبر أرجاء المعمورة. لقد تمكّن هذا الأديب التونسي من إشعال جذوة الثورة في نفوس الجماهير وإحياء بذور الرجاء في القلوب.

في هذه القصيدة، تُبرز الشاعرة تطلعها إلى عالم يسوده السلام والخير من خلال توظيف الألوان الأبيض والأزرق. بعبارة أخرى، تُقدم الشاعرة لوحة مشبعة بنسمات التفاؤل والأمل والعذوبة والمحبة والحيوية.

ومن الملاحظ أن الأديبة العراقية لميعة عباس عمارة قد وظّفت اللونين الأبيض والأزرق بعناية، حيث يستثير الأزرق مشاعر الهدوء والارتياح النفسي. وبتعبير آخر، تربط الشاعرة اللون الأبيض بمعاني النقاء والطهر والأمل، بينما يحمل اللون الأزرق في نظرها دلالات الصفاء والسكون والصدق.

وتقول الأديبة العراقية في قصيدة اسمها "شفياهي":

«ثِيابي بَيضَاء، / مَا مَسَّهَا الحِقدُ / مِثلهُ ثِيابك، / وَروُحي حَمامةُ بَرٍّ تهيمُ / تهيمُ بِغَابِك، / خَلَعتُ حِذَاءَ المتَاعِبِ / عَن قَدَميَّ / بِبابِك».[29]

في بداية القصيدة، توظف الشاعرة رمزية اللون الأبيض كاستعارة تشير إلى صفاء النفس وطهارتها. فمن المعروف في التراث العربي أن يُقال عن الشخص "أبيض القلب" للدلالة على نقائه وصدقه، بينما يُوصف الخبيث بأنه "أسود

القلب" تعبيراً عن سوء طويته وضغينته. وفي هذا السياق الشعري، تعمق الشاعرة من تأكيد معنى الطهارة النفسية من خلال قولها: (ما مَسَّها الحقدُ)، مما يعزز الدلالة على براءة الروح وخلوها من الشوائب.

1-4. اللون الأحمر:

هذا اللون لون الحركة، والقوة، والبهجة، ولون الكثير من الصفات المختلفة؛ «إنَّ الأحمر يرمز في الدّينات الغربيّة إلى التّضحيات في سبيل الدين، والمبداء، وهو رمزٌ لجهنَّم في كثيرٍ من الدّيانات الأخرى، ويرمزُ هذا اللّون عند الهندوس إلى الحياة، والبهجة، وله علاقةٌ وثيقةٌ بالدَّم عند ولادة الطّفل، وتدفق الدّماء، وبعض القبائل تلطّخ المولود بالدّم، حتّى يكون له فرصة في العيش مدَّة طويلةً».[30]

تنتمي شاعرتنا العراقية إلى سلسلة أصيلة من الأجداد الذين اتخذوا من الماء - منبع الوجود - موطناً لإقامتهم وشعائرهم الروحية. ينحدر قومها من تلك الشعوب التي استوطنت أرض ما بين النهرين قبل أن تُعرف باسم العراق، وربما منذ فجر التاريخ. وبوصفها ابنة الجنوب المندائية الأصيلة، تفيض بالعطف والحنو المستمد من كرم أبناء الجنوب وصفاء مياه الأهوار العذبة.

هي شاعرة حلّقت في آفاق رحبة كطيور المياه في موطنها الأول (ميسان). يمكننا التأكيد أن جذور الشاعرة لميعة عباس عمارة ضاربة في أعماق جنوب العراق، حيث أسس السومريون حضارتهم العريقة، لكنها أبصرت النور في بغداد، فأصبحت العاصمة جزءاً لا يتجزأ من كيانها.

تصور بغداد في أشعارها، وتناضل من أجلها بشراسة، وتخلّدها في قصائدها العامية والحرة على حد سواء، فكان ولاؤها لبغداد عميقاً راسخاً. وبعد أن هاجر والدها الفنان الصائغ المعروف بعيداً عن العراق، وحين سعت للحاق به كانت تلك نهاية المطاف، فعاد انتماؤها للعراق أعمق وأشد.

وفي قصيدة بعنوان "نوروز في أربيل"، تُجسّد الشاعرة العراقية روعة وطنها، مركزة على أربيل، حيث توظف اللون الأحمر كعنصر أساسي في نسج صورها الشعرية:

«المزنةُ، القَت بَعضُ حُمولَتِهَا، وَمَضَت / وَامتَلَأَ الوَاديُّ بِالماءِ الأحمَرِ / وَادي بستورة، يصبحُ شَطَا أحمَر / وَعَلَى جَنبَيهِ العُشبُ / تطرّزه ألوان ثِيابِ الكرديات».[31]

تبدع الشاعرة في هذه القصيدة لوحة لونية آسرة، تنسج خيوطها من ألوان متعددة؛ حيث نجد كلمة "المزنة" - وهي السحاب الأبيض - تستحضر النقاء والصفاء، بينما تشع كلمة "مضت" - أي لمعت - بالإشراق والضياء الأبيض؛ كما وظفت الشاعرة الأحمر بصراحة مباشرة (وهو محور دراستنا هنا). وفي ثنايا القصيدة أيضاً، تلمّح لميعة إلى "العشب" كرمز غير مباشر للخضرة، مما يعكس انبعاث الروح في أحضان الطبيعة.

أما عن تركيزنا على الأحمر ومعانيه في هذه القصيدة، فإنه يحمل مضامين مشرقة. استعانت الشاعرة بالتعبير الوصفي "الماء الأحمر" لتؤكد على إشاعة النبض والديناميكية والطاقة في الطبيعة خلال فصل الربيع. وفي مقطع آخر، تعيد الشاعرة الرومانتيكية استخدام الأحمر في الوصف "شطا أحمر"، وهذا التعبير ينمّ عن الفرح والابتهاج والحيوية التي تميز هذا الفصل في مدينة أربيل.

1-5. اللون الأصفر:

يُصنّف هذا اللون ضمن أكثر الألوان بهجة وانشراحاً؛ حيث يمكن اعتباره ذروة الإشعاع والتألق. فهو من أنصع الألوان ضياءً وإنارة، كونه يحمل خصائص الشمس - منبع النور والإشعاع، ومانحة الوجود والبهجة والحيوية.

غير أن للأصفر وجهاً آخر يعارض المعنى السابق، حيث يتجسد في الكآبة والأسى والذواء والفناء والخمول. ولعل هذه الدلالة السالبة تنبع من ارتباطه بموسم الخريف وموت الصحارى القاحلة، أو اصفرار محيّا المعتلين.

وفي السياق السلبي للأصفر يُذكر: «إنه رمز العلة والانقباض، وقد يقترن بأدب الكآبة والضجر من الوجود والتوجس نحو عالم أنقى».[32] خلاصة القول: أن الأصفر لون متغير الطبائع، لا يحمل إيماءات راسخة، فهو يستقي معناه أحياناً من بريق الذهب، وأخرى من نحاس، وحيناً من شعاع الشمس وقت الأصيل، ومرة من بعض الثمار كالحامض والتفاح، والعطور كالزعفران، وأحياناً يستمده من النباتات الذاوية عندما تجف فيميل لونها للاصفرار.

بحثنا عن التعبير الصريح للأصفر في المجموعتين الشعريتين (لو أنبأ العراف والبُعد الأخير)، فلم نعثر على استخدامه بصورة مباشرة.

1-6. اللون الأزرق:

هذا اللون لون السّلام والهدوء والامتداد؛ هذا اللون يشير إلى دلالات متنوعة منها السكينة والهدوء والعالم الذي لا يعرف حدود، كما أنّه لون الماء والسّماء، ولهذا علاقات اعتقادية ونفسيّة؛ إنّ اللون الأزرق يضفي جوّا من البرودة ويوحي بالخفّة. يقال في أهميّة الأزرق: «هُوَ لَونُ الهُدوءِ، وَالسَّلامِ، وَصُورَةُ الأرضِ الملتقطَةِ مِنَ الفَضَاءِ تُبينُ كرة

أرضيَّة زَرقَاء غَامِقَة مُلَتقّة بِسُحُبٍ بَيضَاء».[33]وهذا اللون المرتبط بظلام الليل يسبّب «الخمولِ، وَالهمُودِ، وَيرتبِطُ بِالطَّاقَةِ، وَالولاءِ، وَالتفرُّعِ، وَالابتِهَالِ».[34]

في الواقع، لهذا اللون، دلالات متنوعة وواسعة، وذلك تبعاً لاختلاف درجاته من الفاتح إلى القاتم، فالقاتم منه يقترب من اللون الأسود، ولهذا فهو يثير الحقد والنّفور والكراهية، وقد اقترن هذا اللون بالجن والغول والقوى السلبيّة في الأرض.

وأمّا بالنسبة إلى استخدام هذا اللون في قصائد لميعة، فبحثنا عنه في الديوانيين، وما وجدناه باللفظ المباشر إلا في أبيات قليلة، نقرأ في أنشودة عنوانها زهرة الميموزا:

«نَفتَرِقُ الآنَ صديقَينِ بِلا ضَجَّةٍ / مِن غَيرِ ذُنُوبٍ / وَبِغَيرِ عُيوبٍ، / لَن تَتَبَرأَ أورَاقَ الوَردِ الذّابِلِ / مِن مَاضِيهَا، / بَعضُ اللَّونِ، وَبَعضُ العَطرِ / سَيبقَى فِيها، / نَفتَرِقُ الآنَ، كمهرينِ بِصَحراء / وَصِديقَينِ بِلا أخطَاء / نَتَبَاعدُ مَا أمكننَا / عَن جُثَّةِ ذَاك الحُبِّ / فَذُبابُ المَلَلِ الأزرقِ / صارَ يطنُّ قريباً ...».[35]

عند تأمل هذه القصيدة، نلاحظ اهتماماً بارزاً من الشاعرة بتوظيف عنصر اللون كأداة دلالية مؤثرة. لقد وظّفت لميعة عباس اللون بصورتين: التصريح المباشر والإيحاء غير المباشر.

في الاستخدام المباشر، نجد أن الشاعرة قد وظّفت لفظة "الأزرق" للتعبير عن دلالات سلبية. وهذا التوجه ينسجم مع الطابع العام للنص الذي يهيمن عليه المعجم السلبي، حيث تتكرر ألفاظ الإعياء والانحسار مثل: "نفترق"، "الذابل"، "الملل"، و"نتباعد".

يجد هذا التوظيف السلبي للون الأزرق صداه في النص القرآني، حيث ورد هذا اللون مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾.[36] وقد فُسّرت هذه الآية بتأويلات متعددة، منها أن "زرقًا" تشير إلى تغيّر لون العيون من السواد إلى الزرقة، كما يحدث عند فقدان البصر أو انقلاب العين وظهور بياضها.

ومن الملفت للنظر أن الشاعرة العراقية قد استعانت بألفاظ أخرى (مثل "أوراق الورد") تستدعي ألوانًا كالأخضر والأحمر بطريقة غير مباشرة، وهو ما سنتناوله لاحقًا عند الحديث عن التوظيف الضمني (غير المباشرة) للألوان.

2. المبحث الثاني: الألوان غير المباشرة:

إن توظيف الألوان بطريقة غير مباشرة (أو المعبّرات اللونية غير الصريحة) يقتضي الإتيان بمصطلح بديل يُستشفّ منه المفهوم اللوني؛ والمتتبّع للنصوص الشعرية المتنوّعة يلاحظ أن المصطلحات والتراكيب الدالة على الألوان المختلفة (بصورة غير صريحة) تحظى بحضور أوفر من النمط الأول المباشر.

ولابد من التنويه هنا إلى أن «تفضيل الألوان، بعضها على بعض، ورفضها، وقبولها عند الناس عامة، وعند الشعراء خاصة، له أسباب متعددة، ترجع إلى الخصائص الفيزيولوجية، والنفسية، والثقافية، والدينية».[37] فاللون الواحد قد يكون منبوذاً لدى شاعر، ومحبباً لدى شاعر آخر. وهكذا أصبحت «دلالة الألوان مرتبطة بأشياء عديدة، في البيئة وفي نفس الإنسان، ومن هنا تباينت الدلالات، فحيناً يُعتبر اللون الأسود مبعث الجمال، والقوة، وحيناً آخر مبعث الحزن، والخوف، وحيناً يدعو إلى الفخر، والاعتزاز، وآخر يكون مدعاة للتشاؤم، والطيرة».[38]

وكذلك، مما يستحق التنويه هنا هو عنصر التخيّل ودوره في توظيف الألوان (وبخاصة الألوان غير المباشرة) في إبداع الشاعر؛ فالأدباء يوظّفون الألوان المتنوّعة وفقاً لما يملكونه من عنصر التخيّل والشاعرية، وإدراك ما للخطوط الحركية والألوان من قيمة تأسيسية وإيحائية في تشييد الصورة الشعرية. فالأديب قد يضفي على الألوان المختلفة دلالات واضحة أو رمزية أحياناً، ويبدو اللون الواحد لدى أديب ما متنوّع الدلالات من قصيدة إلى أخرى، وهكذا يعتمد الشاعر في توظيفه للون على ألوان بذاتها وفق ترتيب معيّن؛ حسب قوة بروزها لديه في المخيلة والوجدان، حين تحمل الألوان دلالات ذات صلة مباشرة بالرؤية الفنية للأديب. وفي معظم الأحيان، لا يرد اللون فيما وُضع له، بل يغدو ذا دلالة رمزية إيحائية تكشف عن مشاعر الشاعر، كونه مصدراً للنشاط والحيوية والطمأنينة والراحة، ورمزاً للعواطف المتنوّعة من فرح وحزن. فاللون من أبرز تجليات الطبيعة وأبهاها، ومن أهم المكونات التي تتشكّل منها الصورة الشعرية، لما ينطوي عليه من الدلالات النفسية والرمزية والفنية والاجتماعية.

المتتبّع لقصائد الشاعرة الرومانسية لميعة عباس عمارة يجد أنها قد وظّفت في شعرها المفردات والتعابير التي توحي بالألوان المتنوّعة، ولهذه التعابير غير المباشرة للألوان دلالات ورموز وإيحاءات يستخلصها القارئ بحسب السياق الشعري؛ وهنا نقوم بدراسة تحليلية في نماذج منتقاة:

2-1. اللون الأسود

كما أشرنا سابقاً، يحمل اللون الأسود دلالات الكآبة والفناء والموت والكدر؛ والناظر في النسيج الشعري لقصائد لميعة ونهجها في انتقاء مفرداتها، يلحظ أن الشاعرة العراقية تحرص في مواضع عدة على توشيح نصوصها

بالألفاظ الموحية بالسواد؛ وفي معظم هذه المواضع، نراها تلجأ إلى هذا اللون في مقاطعها الشعرية التي نظمتها حول محاور البعاد والأنين والإحساس بالاغتراب (وهي سمات تعكس النزعة الرومانسية للشاعرة). وفي هذا السياق نستحضر نماذج منها:

وفي قصيدة بعنوان "إلى مقاتل في الجبهة"، نلمس لدى الشاعرة الرومانسية لميعة عباس عدم قدرتها على احتمال البعد عن محبوبها، حيث تعدّ غياب الحبيب بمثابة الموت وتبثّ شكواها من الهجر والانقطاع؛ فتسعى الشاعرة لبناء مناخ عاطفي حزين ينسجم مع مضامين الشكوى والافتراق. ولهذا الغرض، تشكّل لميعة مشهداً لونياً مشبعاً بالأسى والانقباض، توظف فيه ألفاظاً تشير بطريقة غير مباشرة للون الأسود (مثل الليل):

«وأيقَظَني البَردُ في أخرياتِ لَيالِي الخَريفِ، / تَلَملَمَت، / رَاحَت ذِرَاعي تجسُّ مَكانك / عَادَت تَجمَّع حَولي دثاري الخفيف، / مكانك لَا هَهُنَا! / قَد تَذَكرتُ / أنتَ رحلتَ مَعَ الجيشِ أمسِ. / أراك، ومتربة جبهة الفَارس العَرَبِيّ / وَصَوتُ القَذَائِفِ يشحنُهُ بِالرّجُولَةِ / غَداً سَأعانِقُ فِيك البَطُولَة / غفرت لِبَردِ لَياليّ الخَريفِ / ووَحشَة تلك اللَّيالي الطَّوِيلَة / غَداً سَألمّع نَجمَاتك الشَّامِخَات / عَلَى كتَفٍ يشهدُ الزَّهو أنّي أشهَدُ / عَلَيهَا. / وَتحسدُني مِئَةَ امرأَةٍ / ألا أحسدنني، / إنَّني أعَانِقُه».[39]

عند التأمل في هذه المقطوعة الشعرية، نلحظ أن حب الشاعرة العراقية يستند إلى أعمق النوازع الوجدانية في كيانها، حيث يتمثل في قلب يعمد إلى شل قوى المنطق والتفكير المنضبط. هذا التعلق يأتي بصورة قهرية، فهي ترتبط بحبيبها الأول دون خيار أو اختيار، وتعجز عن تحمل البعد عنه. ففي غيابه تنتابها ضروب من القلق والهواجس، لكنها عاجزة أمام هذا الوضع، وهو بدوره لا يملك القوة على الصبر. من هنا، تصب مشاعرها الجياشة في أبيات تتغزل فيها بمحبوبها وتتوق للقائه.

لقد رسمت الشاعرة لوحة لونية يهيمن عليها السواد الذي يرمز للأسى والغم والفرقة والكدر. ولم تلجأ شاعرتنا للتعبير المباشر عن هذا اللون، وإنما وظفت المفردات والتراكيب والعبارات التي تحمل في طياتها هذا المعنى. فعلى سبيل المثال، نجد المقاطع التالية تجسد اللون الأسود:

(أخريات ليالي الخريف / غفرت لبرد ليالي الخريف / وحشة تلك الليالي الطويلة).

وفي هذه المقطوعة، تجلت هيمنة الغرام على المحبة من خلال تعطيل إرادتها، فباتت مسلوبة القدرة على المقاومة، وبذلك يسقط عنها العتاب في انفعالاتها ومشاعرها، وتُرفع عنها المحاسبة، كونها مُكرهة وليست مختارة في هذا الحب، وخاضعة لسيطرة الفؤاد ونزوة العشق.

وخلاصة القول: طغت على هذه المقطوعة الشعرية أجواء نفسية كئيبة بسبب بُعد الحبيب، لذا حرصت لميعة على إبداع الصور الشعرية التي فاضت بالشكاوى الصادقة العاطفة. ولتعميق هذا المناخ الحزين، استدعت ليالي الخريف (بتوظيف اللون الأسود الذي يترك أثراً في نفس المتلقي)، فرمزت بذلك للحزن المديد والاضطراب والقلق.

وفي قصيدة أخرى، توظف الشاعرة كلمة (الليالي) باعتبارها تمثل الظلمة الشاملة، وهي تخشى اللقاء في أوقات الليل:

«أسائلُ نَفسِي: / لمَاذا أَخَافُ أُطِلُّ مِنَ الشرفةِ الشَّاهِقَةِ / وإنّي إذَا مَا بَكى صَاحِبَايَ أظَلُّ / الجريئَةَ، والواثقة؟ / لماذَا أَخَافُ اللّقَاءَ البَسِيطَ / وأحذرُ نَظرَتَهُ الخَارِقةَ؟ / تذكرتُ، / إنّي أخافُ اللّيالي / راعدةً ... بارقةً / أخَافُ إذَا مَا التقت غِيمَتَان / فِي الجوّ».[40]

عند التأمل في مضمون هذا المقطع الشعري، نلمس كيف تجسّدت الشاعرة العراقية فهماً عميقاً للبيئة الإسلامية والمجتمع العراقي المتمسك بقيم الدين الحنيف. تبرز لميعة في تقلبات الدهر بقوة الإرادة والثبات على المبدأ والتوكل على الله سبحانه وتعالى، مع تقواها ومراقبتها لله في السر والعلن. نراها تتردد وتخشى لقاءات الليل، وذلك نابع من بصيرتها الروحية ويقينها الإيماني بأن مثل هذه اللقاءات تتنافى مع القيم الأخلاقية وتبعدها عن المسار القويم المستمد من عقيدتها الراسخة.

وقد تجلّت الثقافة القرآنية للشاعرة من خلال توظيفها لمفردات وتعابير مستوحاة من الكتاب العزيز في نسيج قصيدتها، مما يعكس عمق انتمائها للتعاليم الإسلامية، إلى جانب إظهار نقائها وطهارة مشاعرها العاطفية. ومن خلال هذا العمل الشعري، تتضح معالم الحب العذري السامي لدى هذه الشاعرة العراقية.

وفي هذا السياق الشعري، يثير استخدام مفردة "الليالي" في مخيلة القارئ دلالات الظلمة، لكن بمعناها السلبي المرتبط بخوف المرأة المؤمنة وقلقها من لقاءات تحدث تحت جنح الظلام.

2-2. اللون الأبيض:

كما سلف الذكر، يُعدّ هذا اللون من أبرز الألوان حضوراً في التراث الشعري العربي عبر عصوره المختلفة، سواء في القديم أم الحديث. وفيما يتعلق بالشاعرة لميعة، نلاحظ اهتمامها البالغ بتوظيف المفردات الموحية بهذا اللون.

لقد شكّلت الألفاظ الدالة على اللون الأبيض علاقة تفاعلية عميقة مع المضامين الشعرية، حيث أظهرت حيوية ذاتية وفعالية دلالية متميزة. وبتعبير أدق: يحتل اللون الأبيض - سواء بالتعبير الصريح أو الضمني - مكانة بارزة في المعجم الشعري للشاعرة لميعة عباس عمارة.

يتبدى هذا اللون في إبداع لميعة عباس عبر طيف واسع من الدلالات الإيجابية والسلبية، غير أن الإيجابية منها تتفوق وتهيمن على السلبية. وتبرز الطهارة والصفاء والمشاعر النقية الصادقة المفعمة بالحنين والشوق والأسى كأهم المعاني التي يحملها اللون الأبيض في الشعر الرومانسي للشاعرة لميعة.

وفي هذا السياق، نستعرض أمثلة متنوعة منها:

في أنشودة اسمها ديوجين، ترتكز الشاعرة على لفظ الثلج (المتمثل في اللون الأبيض) ودلالته:

«يا درويشاً يقبعُ فوق التلّ / سَيغطّيك الثّلجُ ،كشَيطَانٍ أخرَس، / والحُوريات، / لا يطرِبهُنَّ الوترُ المقطُوعُ».[41]

في هذه الأنشودة، يتجلي الرجل الدرويش بارد الإحساس؛ فهو الرجل المسكون بعزلته فوق التل، لا يعرف الحبّ، لأنّه درويشٌ حرّم على نفسِهِ الغناء والطرب، لذا تبتعد عنه الحوريات، بل هو سينسى كشيطانٍ معطّل وأخرس، تهجرهُ الحوريات الجميلات لأنّه لا يطرب الأنثى. المتأمّل في هذا الشعر، يجد أنّ الشاعرة قد استخدمت لَفظ الثلج الذي يستحضر اللون الأبيض في ذهن المتلقي، لترمز به إلى الاحساس البارد.

وهذه الرؤية السلبية، تتجلّي في الأنشوة الآتية، حيث قد استخدمت شاعرتنا لفظ "الثلج" في السياق المفعم بعاطفة حزينة؛ نقرأ في أنشودتها:

«آلهةُ المطَرِ: كفُّك هَذي أمّ آلهةِ المطَرِ / أم زَهرٌ عطريٌّ، مِن جَزرِ القَمَرِ، / وأنَا ... / جَسَدٌ مَدفُونٌ فِي الثّلجِ / لِيظلَّ جَميلاً مَعشُوقاً / أبَدَ الدَّهرِ ...».[42]

إذا نظرنا في عبارة (أنا جسدٌ مدفونٌ في الثّلج...)، نلاحظ أن الشاعرة قد رسمت لوحة بصرية تعتمد على مفردة "الثلج" التي تستحضر البياض الناصع؛ وعبر هذه اللوحة، نجحت في بلورة مشاعر الكآبة والأسى التي تعتريها أمام القارئ.

وفي قصيدة أخرى، تضع الأديبة العراقية جمهورها أمام مشهد بصري مغاير؛ حيث يبرز وهج النجم القطبي وإشراقه الأبيض وسط ظلمة الليالي، مما يلفت نظر المتلقي ويدفعه لاستحضار هذا المنظر في ذهنه. والنجم القطبي هو التسمية التي تُطلق على أكثر النجوم سطوعاً بالقرب من أحد قطبي الأرض.

من يتفحّص ألفاظها والمشاعر المهيمنة على نصّها، يدرك أن الشوق للوطن بادٍ جلي في الأبيات، وقد وظّفت كاتبتنا اللون الأبيض ليحمل معانٍ إيجابية. تتضح هذه المعاني الإيجابية من خلال استعمال كلمة (نور) في جملة (أحنُّ إلى موطني الخالد النور). ونطالع في أنشودة بعنوان "شفياهي":

«وَحَدَّقتُ في نَجمةِ القُطبِ / كلَّ لياليّ الشَّقاء، / أَحِنُّ إلى مُوطني، الخالدِ النور / عَبرَ السّماءِ، إلَيك حنيني –شبيهي، / لِعالمِ ذاك النّقَاءِ».[43]

من خلال تتبع المسار الشعري لدى لميعة والوقوف عند مفرداتها وطرائق توظيفها في بناء الصور اللونية، نلحظ وجود رابطة محكمة بين انفعال الاغتراب - ذلك الشوق العميق الذي يعتمل في نفس أديبتنا العراقية تجاه موطنها - وبين الاستثمار الفني للونين المحوريين: الأبيض والأسود.

فالشاعرة العراقية تنحو نحو اللون الأسود عندما تستغرقها المشاعر المكلومة الناجمة عن انقطاعها عن العراق وعيشها تجربة الاغتراب المريرة. وفي المقابل، نراها تميل إلى استحضار اللون الأبيض والعبارات المشعة بدلالاته عندما تستدعي ذاكرتها صور الوطن، فترسم العراق بوصفه منبع الضياء والصفاء والوئام والبركة.

وعلى نحو آخر، يؤدي إحساس النزوح والاغتراب دوراً محورياً في تحديد أنماط استخدام هذين اللونين المرجعيين. والغربة في التعريف الاصطلاحي تشير إلى «الهجرة والانفصال عن الأوطان نتيجة عوامل سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو دعائية».[44]

كما ورد في المعجم الأدبي أن «الغربة انفعال يهيمن على الإنسان، وبخاصة على المبدعين، فيعيشون في توتر وكمد لإحساسهم بالمسافة عما يعشقون أو يتطلعون إليه. وقد تتجلى هذه العاطفة في صورتين: الأولى حين الافتراق عن مرابع الصبا ومواطن الأحباب، فيصور الفنان مشاعره بصور وتخييلات ومضامين تتفاوت جودة وعمقاً تبعاً لاختلاف الشخصية المبدعة. والثانية: حين الشعور بأن العالم بأسره سجن زُج فيه الفنان قسراً، فقيدته أغلاله وأغرقته بشروره وأوجاعه. وقد انتشر هذا النمط من الغربة في إنتاج الرومانسيين، وبلغ أجلى تجلياته في قصائد المتصوفة كالحلاج وابن الفارض وابن العربي».[45]

وتقول الشاعرة في قصيدة بعنوان "الماء صرفاً شرابي":

«لا تَعذّلُوني لِشُربي الماءَ، / لا تلِحَوا / أخشِي إذَا مَا شَرِبتُ الخَمرَ، / أن أصحو، / سُكري أنَا مُزمِنٌ / كالحُبِّ فِي جَسَدي، / هَل يهتدي، / بِبَصيصِ الشَّمعَةِ الصُّبح»؟[46]

عند تحليل هذه الأبيات الشعرية، نلاحظ أن الشاعرة العراقية قد وظّفت اللون الأبيض - الذي يتجلى في الماء كرمز للصفاء والطهر - في سياق سلبي مغاير لدلالته التقليدية. فقد عمدت إلى إضفاء خصائص الخمر المذمومة (كالسُكر والثمالة) على الماء ذاته، مما يعكس حالة من الانقلاب في المعايير والقيم.

وفي هذا السياق، تصوّر الشاعرة ذاتها محاصرة بظلام الليل وأسره، عاجزة عن رؤية نور الشمعة في الصباح - والذي يحمل كذلك دلالة البياض - كسبيل للخلاص والتحرر من سطوة الليل بسواده الطاغي. هكذا تبدو الذات الشاعرة محرومة من طريق الهداية والانعتاق من قيود الظلمة المهيمنة.

2-3. اللون الأحمر:

وفقاً لما تطرقنا إليه مسبقاً، يُعتبر هذا اللون من الألوان الأولى التي تعرّف عليها الإنسان وأدرجها ضمن إبداعاته الأدبية. يحمل هذا اللون في طياته معانٍ متضادة تتراوح بين السلبية والإيجابية، فهو رمز للفرح والحزن معاً، وإشارة للبهجة والعدوانية في آنٍ واحد. ومن أبرز سماته ارتباطه الوثيق بالدم كرمز أساسي.

يمكننا التأكيد على أن هذا اللون يحتل مكانة مقدسة من الناحية الدينية، بينما يثير مشاعر القلق من المنظور النفسي. لقد أولى الأدباء الأوائل اهتماماً خاصاً بتوظيفه في أعمالهم، وذلك نابع من إدراكهم العميق لأهمية الأحمر في تشكيل جوهر الحياة والكون.

وبالنظر إلى شعر لميعة عباس، نلاحظ أنها لم تُكثر من استعمال هذا اللون، بل اقتصر ظهوره على أبيات محدودة. وفي قصيدة بعنوان "قدماك" نجد:

«قَدَمَاك الوَرديتَانِ حَريرٌ / وقَوَاريرُ لَألَأت بَالرَّحيقِ / مِثلَ زَرّين مِن زُهورِ المنوليا / يستَجمَّانِ لحظَةَ التَّورِيقِ».[47]

تكشف الأبيات المذكورة عن عناية الشاعرة الفائقة بتوظيف اللون كمكوّن جمالي مؤثر في بنية القصيدة؛ إذ وظّفت هذه الشاعرة ذات النزعة الرومانسية مجموعة من الكلمات والتعبيرات الحاملة للدلالات اللونية المتنوّعة، ولعل أبرزها مفردة (الورديتان) التي استعملتها لميعة في رسم صورة قدمي المحبوب. وإذا ما تأملنا السياق الشعري العام، فإننا نجد أن الشاعرة قد جعلت من لفظة الورديتان رمزاً دالاً على الحيوية والقدرة والنشاط والحياة (أي إنها تحمل مضموناً إيجابياً). كما سعت الشاعرة إلى إضفاء مزيد من الحركة والحيوية على هذه اللوحة اللونية، فاستعانت بألوان أخرى (بصورة غير مباشرة) من خلال ألفاظ مثل (لألأت / زرّين / زهور) التي تجسّد معاني البياض والإشراق واللمعان.

وفي سياق شعري آخر، تقول شاعرتنا العراقية:

«الآن / يا مَن كنتَ حبيبي، / يخجِلُني تَمثيلُ اللَّحَظَاتِ الوَردِيَّةِ / وزُهورُ الميموزا، / تُغلقُ دُونَ اللَّمساتِ / اللّاوُديةِ».[48]

الدارس في الأبيات المذكورة، يجد أنّ شاعرتنا العراقية، قد أشارت باللون الوردي (اللحظات الوردية)، ولهذا اللون من خصوصية الانشراح والتألّق، كما هو لون الورود وجمالها. يمكننا القول أنّ الشاعرة قد وظفت هذا اللون رمزاً لسعادة الشاعرة وجمالها.

وفي أنشودة اسمها مسدودة طرقي، تستخدم الشاعرة لفظ (الدم):

«أظُنُّ قَد جَاءَك الوَاشُونَ عَن غَرَضٍ / مُخضّبينَ قَميصِي مِن دَمٍ كذِبِ، / وكانَ مِنك شَفِيعِي مُرهَفٌ فَطِنٌ / وَقَد بَدَا لي تغاضيهِ مِنَ العَجَبِ».[49]

المتأمّل في الأبيات هذه، يجد أنّ الشاعرة قد استخدمت لفظ (دم) في دلالة سلبية؛ فعلى حسب السياق، التركيب الوصفي (دم كذب)، يحمل دلالة سلبية تتمثّل في البهتان والتهمة. تقول الشاعرة: إنّ نمّامين يجرون الكلام بكذب وتهمة، كأنّهم يقومون بتلويني (باللون الأحمر).

2-4. اللون الأخضر:

كما أشرنا سابقاً، يُمثل هذا اللون رمزية الإخصاب والحيوية والهدوء والرجاء والبهجة. ويكشف توظيف اللون الأخضر عن النظرة المتفائلة للشاعر، وفي الوجدان العراقي يُعتبر هذا اللون شعاراً للأشراف الذين ينتسبون في نسبهم إلى آل البيت الأطهار عليهم السلام؛ أما بخصوص هذه الدلالة الرمزية في إبداع لميعة عباس، فقد تركت بصمة واضحة -كما شاهدتم فيما مضى- على شاعرتنا العراقية فيما يتعلق باستحضارها للون الأخضر بمعانيه المتعددة.

وفي هذا السياق، طغى استخدام التعبير الصريح للون الأخضر على التعبير الضمني له؛ حيث تقول لميعة عباس في قصيدة بعنوان "زهرة الميموزا":

«نَفترِقُ الآنَ صديقَينِ، بِلا ضجّةٍ، / مِن غَيرِ ذُنُوبٍ، / وبغَيرِ عُيوبٍ، / لَن تَتَبَرأَ أوراق الوَردِ الذَّابلِ مِن مَاضيهَا، / بعضُ اللونِ، وبَعضُ العِطرِ / سَيبقَى فِيهَا».[50]

عند التأمل في الأبيات السابقة، نلاحظ أن الشاعرة العراقية قد استخدمت اللون الأخضر (المتجلي في عبارة "أوراق الورد") عبر بناء صورة تشبيهية مؤثرة. لقد أجادت الشاعرة في توظيف التشبيه الضمني بطريقة محكمة، مما أضفى على الصورة الشعرية مزيداً من الوضوح والجمال البلاغي. وأمّا في الأبيات السابقة، فشاعرتنا تقول: إنّنا افترقنا الصديقتين، وفي لحظة الفراق ما أصبنا بالتغيير والتحويل (فسيبقى حبّنا في وجودنا أبد الدهر)، كما أنّ أوراق الورد المذبل لن تتبرأ (وعطرها ولونها الأخضر سيبقى فيها).

2-5. اللون الأصفر:

كما ذكرنا من قبل، يُمثّل هذا اللون رمزاً للشمس بوصفها منبع الإضاءة والحيوية والبهجة والحركة. غير أن هذه المعاني المشرقة تتعايش مع دلالات أخرى أكثر قتامة، حيث يُجسّد أيضاً الذواء والعلّة. ولعلّ هذا التناقض يستمدّ جذوره من مشاهد الخريف حين تصفرّ الأوراق، أو من شحوب الوجوه المُبتلاة بالأسقام.

في الحقيقة، تتباين معاني هذا اللون وتتشعّب تبعاً للمقام الذي يُستخدم فيه؛ فتارة يُنبئ بالعجز والجدب والانحلال، وطوراً يبشّر بالغبطة والمرح والانشراح، مثلما هو الحال مع لون قرص الشمس.

وفي منجز لميعة عباس الشعري، نُلفي بُعدين متضادّين لرمزية اللون الأصفر؛ ففي منظومة "وحدي على شواطئ الأطلسي" على سبيل التوضيح، تُوظّف الكاتبة كلمة "المشمس" التي تستحضر هذا اللون. نجد الأديبة تكابد من أجل محو ذكرى عاشقها الذي ألقى بها في وضعية مُزرية، وسعياً للتحرّر من آلامها، أخذت تُنكر إلمامها بالغرام وكأنها لم تختبره قطّ.

لكن انفعالاتها الباطنة التي تُغذّي صراعاً روحياً مدمّراً لدى الشاعرة العراقية، مزّقت أحاسيسها وكبرياءها، فأفرزت لميعة من مُكابدتها لوحة بديعة عن العشق، حيث شبّهته بالحكيم الذي يسعى لوصف الخمرة دون أن يتذوّقها. وهكذا عبّرت بطريقة ساحرة عن الحبّ، وتجلّت المعركة النفسية في موقف الناظمة من الهوى والوجد، علماً بأن العامة تُدرك وجود هوّة شاسعة ومسافة بعيدة بينهما:

«وَحدي، عَلَى شَوَاطِئ الأطلسيّ / لَيسَ سِوى ذِكركَ كُلّ مُؤنِسي / مَن غُرفتي ... عفواً فليست غُرفتي بل محبسي، / أرقب من شباكها الأحياء، ملء الشاطئ المشمس / مجردين، غير خيطيين بقايا ملبسِ، / من غرفتي، أحكي عَنِ الحُبّ أنا، / وعن هوى، لم ألمس، / كفيلسوفٍ يصفُ الخمرَ الَّتي / لم يحتس».[51]

نلحظ في هذه المقاطع الشعرية توظيف الشاعرة للون الأصفر في سياق دلالي إيجابي؛ إذ يكشف التأمل في هذه الأبيات عن تجسيد لميعة عباس عمارة لمشاعر الاغتراب من خلال قطافها لثمار الفراق، حيث تذرف دموعها في صمت شاعري رومانسي بعيداً عن أرض الوطن. لقد شكّلت تجربة الغربة عوالمها الشعرية وهي تُطلق عصافيرها في فضاء الغياب لتحلّق بعيداً عن أجواء الوطن، مغردة على الشواطئ النائية في رحلة أبدية لا تنتهي إلا برحيلها؛ وقد تجسّد هذا الإحساس العميق بالاغتراب عبر جميع أبياتها.

كذلك نجد أن الشاعرة العراقية قد أولت اهتماماً خاصاً بلبنان وسحرها الطبيعي، وذلك من خلال وصفها له في قصيدة تحمل عنوان "ديوجين":

«قُلتُ: / بِلُبنَانَ، الشَّمسُ عَلَى مِرآةِ البَحرِ / سَتهديني، / اثَارَ غبارٌ حجَبَ الشمس / وَعميتُ، / فَلَم أسمَع غَيرَ صَهيلِ الخيلِ / وصُراخ الوَيلِ / أنتِ إذَن كنتِ المشدُودَةَ / بَينَ الفرسَين»؟[52]

لقد نجحت الشاعرة العراقية، بإبداعها المتميز، في رسم لوحة لونية آسرة تستدعي من خلالها معالم إحدى البلدان العربية. وكما أشرنا سابقاً، فإنها شاعرة ذات نزعة رومانسية، وعبر إحساسها العميق بالاغتراب، يتبلور حنينها الجارف للوطن العربي. وفي هذا المقام، تصوّر برؤيتها المشرقة والمتفائلة جمال لبنان، فتستحضر سواحله الساحرة حيث تنساب أشعة الشمس الذهبية فوق صفحة المياه الزرقاء.

في هذا التصوير اللوني البديع، نجد أن كلمة "الشمس" تستحضر في الذهن درجات الأصفر الدافئ، بينما "البحر" يثير تداعيات الأزرق العميق.

وعلى الجانب الآخر، نلحظ أن الشاعرة قد وظّفت اللون الأصفر في سياق يحمل دلالات حزينة ومؤلمة، إذ تستعين بتعبير "أوراق الخريف" الذي يستحضر صفرة الذبول والفراق:

«يشَوّقُني لَك المطَرُ الخَفِيفُ / وَيسقُطُ كلَّ أوراقِي الخريفُ».[53]

أوراق الخريف الذهبية تُشير إلى الفراغ والاضمحلال نظراً لصلتها بانتهاء دورة الحياة الطبيعية خلال هذا الموسم. من هنا، يمكن أن نستنتج بأن الشاعرة قد استخدمت الدرجة الصفراء في أعمالها الشعرية حاملةً معنيين متضادين.

2-6. اللون الأزرق:

كما أشرنا سابقاً، يُعدّ اللون الأزرق رمزاً للسكون والطمأنينة، حيث يحمل في طياته معانيَ عميقة تتراوح بين الهدوء النفسي والانفتاح على اللانهائي. فهو لون المحيطات الواسعة والسماء الممتدة، مما يكسبه بُعداً روحانياً ونفسياً مميزاً. يمنح هذا اللون الساحر إحساساً بالانتعاش والخفة، ويخلق أجواءً باردة منعشة تبعث على الراحة. غير أن هذا اللون، حين يقترن بعتمة الليل وظلمته، قد يثير مشاعر أخرى كـــ"الكسل والفتور، بينما يرتبط أيضاً بالحيوية والإخلاص والتشعب والتضرع. وهكذا نجد أن الأزرق يحمل في جوهره تناقضات جميلة تعكس ثراء الطبيعة الإنسانية وتعقيدها.

وفي أنشودة اسمها بغدادُ أنتَ، تشير الشاعرة إلى ورد الخزامى (باللون الأزرق):

«غَذَوتُك طِفلاً، فَلَمَّا كبِرتَ / نَسيتَ العَذَابَ، نَسيتَ السَهَرَ؟ / هُنَا، كانَ رأسُك يومَ الرصَاصِ / حَسَبنَاهُ وَردَ الخُزامَى انتَشَرَ / صُليتُك خَمسينَ عَاماً، فَدَعني / أذُق رَاحَةَ الظِلِّ قَبلَ السَّفَرِ».

في هذا المقطع الشعري من أنشودة "بغداد أنت" للشاعرة لميعة عباس عمارة، تتجلى الدلالات اللونية غير المباشرة للأزرق من خلال استحضار صورة "ورد الخزامى" الذي يحمل في طياته تعقيداً دلالياً عميقاً يتجاوز المعنى الحرفي للون إلى فضاءات رمزية أوسع. إن اللون الأزرق هنا لا يُذكر صراحة، لكنه يتسلل إلى النص عبر الإحالة إلى الخزامى الأزرق، مما يخلق طبقة دلالية مضمرة تتطلب قراءة تأويلية دقيقة لفك شفراتها الرمزية الشاعرة تستحضر زمن الطفولة والرعاية والغذاء العاطفي والروحي الذي قدمته الأم-الوطن لابنها-الشعب، ثم تنتقل إلى لحظة النسيان المؤلمة التي تجعل الابن يتناسى "العذاب" و"السهر" اللذين عاشتهما الأم في سبيله. وفي هذا السياق المشحون بالعتاب والحسرة، تأتي صورة "ورد الخزامى" كنقطة تحول دلالية حاسمة، إذ تستدعي الشاعرة "يوم الرصاص" وهو تعبير كنائي عن أيام الحرب والدمار والقتل، حيث كان رأس الابن-الوطن أو الشعب مهدداً بالموت، وهنا تكمن المفارقة الدلالية العميقة في تشبيه هذا الرأس المهدد بـ"ورد الخزامى انتشر". إن استخدام الخزامى الأزرق في هذا السياق يحمل دلالات متعددة الطبقات، فاللون الأزرق، المرتبط تقليدياً بالصفاء والسماء والبحر والسلام، يتحول هنا إلى رمز مفارق يجمع بين الجمال والهشاشة، بين الحياة والموت، بين الأمل والخوف، فالخزامى كزهرة تتميز بجمالها الرقيق وعطرها الأخاذ، لكنها في الوقت نفسه هشة وقابلة للذبول، وهذه الازدواجية تنعكس على صورة الرأس المهدد بالرصاص الذي يبدو كوردة جميلة منتشرة، مما يخلق توتراً دلالياً بين الجمال المتوقع والعنف الكامن.

إحصاء لعدد الألفاظ المباشرة التي استخدمتها لميعة في المجموعة الشعرية: (لو أنبأني العراف)

الألفاظ المباشرة للألوان	مجموعة الألوان	الألفاظ غير المباشرة للألوان	مجموعة الألوان
الأخضر	3	الأخضر	10
الأسود	6	الأسود	38
الأبيض	4	الأبيض	12
الأحمر	5	الأحمر	8
الأصفر	-	الأصفر	3
الأزرق	1	الأزرق	4

إحصاء لعدد الألفاظ غير المباشرة التي استخدمتها لميعة في المجموعة الشعرية: (البعد الأخير)

الألفاظ المباشرة للألوان	مجموعة الألوان	الألفاظ غير المباشرة للألوان	مجموعة الألوان
الأخضر	6	الأخضر	6
الأسود	12	الأسود	35
الأبيض	2	الأبيض	12
الأحمر	4	الأحمر	9
الأصفر	2	الأصفر	7
الأزرق	3	الأزرق	6

التنوع اللوني (الألفاظ غير المباشرة)، في المجموعة الشعرية (لو أنبأني العراف)

اللون	عدد مَرَّاتُ تَوَتُّره	الرَّديفُ اللّوني
الأخضر	10	العشب، الأشجار، الغابات، الورق، الربيع، نوروز، حدائق، الشجر، الخصب، الجنان
الأسود	38	الغروب، الليل، الطوفان، الجهل، الظلّ، الشعر، يوم الرصاص، الخوف، هموم، الريح، الغيم، الليالي، ليالي الخريف، الدخان، الغيوم، الموت، الليالي الطويلة، المحبوسة
الأبيض	12	الفجر، القمر، سلاسل، كوكب، الفانوس، الضوء، الدموع، الضياء، النهر، الثلج، المجرات، نجماتك
الأحمر	8	الياقوت، الدم، دم كذب، ورد
الأصفر	3	أوراق الخريف، الشمس، القمح

الأزرق	3	البحر، ورد الخزامى، سماء

اللون	مرات توتره	الرديف اللوني
الأخضر	6	الحديقة، الشجر، الغابات، الربيع، أوراق
الأسود	35	الظلام، الخوف، الريح، الخيبة، الحروب، الغروب، الغيم، هموم، قبر، تعب، الحزن، الليل، الليالي
الأبيض	6	شعاع، الفجر، الثلج، النجوم، الضوء
الأحمر	9	الورد، الدماء، الشهيد، الدم، الوردي
الأصفر	7	المشمس، أوراق الخريف، الشمس
الأزرق	6	البحار، السماء، البحر

التنوع اللوني (الألفاظ غير المباشرة)، في المجموعة الشعرية (البعد الأخير)

حضور الألفاظ المباشرة للألوان في المجموعتين الشعريتين

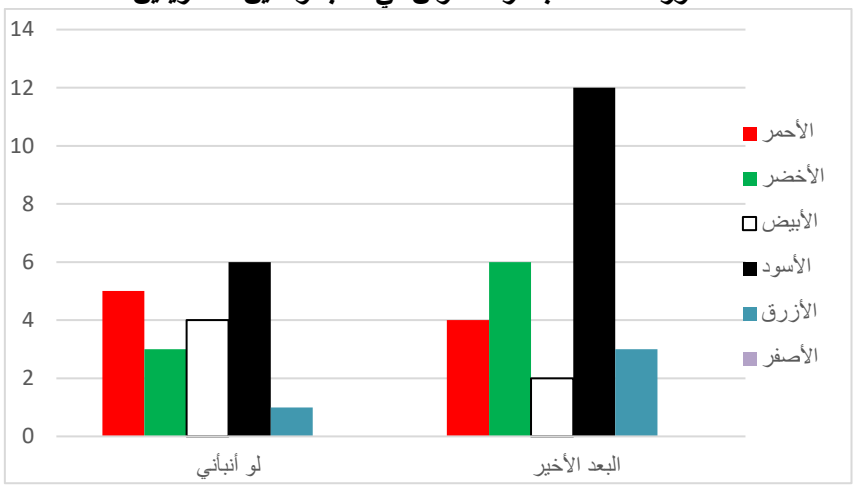

حضور الألفاظ غير المباشرة للألوان في المجموعتين الشعريتين

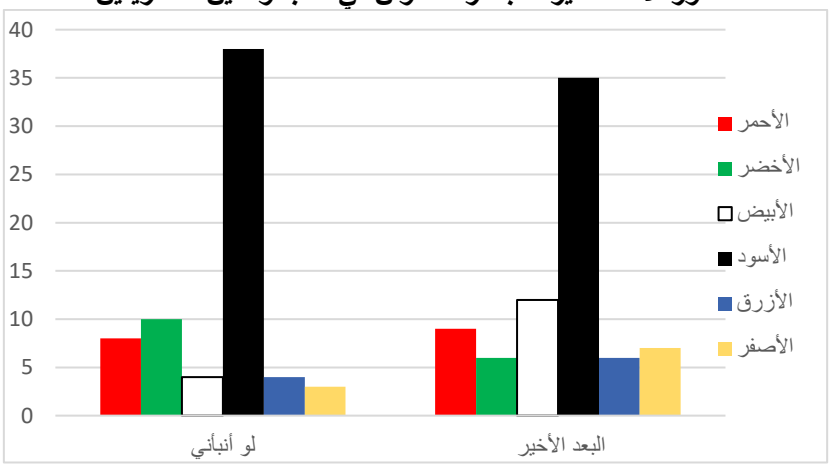

النتائج:

وأخيراً يمكن أن نستخلص أهمّ النتائج والأفكار التي توصّلت إليها هذه الدراسة على الشكل التالي:

1. تُظهر الدراسة أن الشاعرة اعتمدت بشكل أساسي على الألفاظ غير المباشرة للألوان أكثر من الألفاظ المباشرة، حيث بلغ مجموع الألفاظ غير المباشرة في المجموعة الأولى (75) لفظة مقابل (19) لفظة مباشرة، وفي المجموعة الثانية (75) لفظة غير مباشرة مقابل (29) لفظة مباشرة، مما يدل على ميل الشاعرة إلى الإيحاء والرمزية اللونية بدلاً من التصريح المباشر.

2. يهيمن اللون الأسود على المشهد الشعري في كلتا المجموعتين، حيث تكرر (38) مرة بالألفاظ غير المباشرة في المجموعة الأولى و(35) مرة في الثانية، بينما ظهر بالألفاظ المباشرة (6) مرات في الأولى و(12) مرة في الثانية. هذه الهيمنة تعكس الحالة النفسية للشاعرة وانشغالها بمفردات الحزن والقلق والخوف، والتي تتجسد في معجمها اللوني من خلال ألفاظ مثل "الغروب، الليل، الطوفان، الجهل، الظلّ، الخوف، هموم" في المجموعة الأولى، و"الظلام، الخوف، الريح، الخيبة، الحروب، الغروب، الحزن" في المجموعة الثانية.
3. يأتي اللون الأبيض في المرتبة الثانية من حيث التكرار، حيث ظهر (12) مرة بالألفاظ غير المباشرة في كلتا المجموعتين، مقابل (4) مرات مباشرة في الأولى ومرتين في الثانية. يرتبط هذا اللون بدلالات الأمل والنور والطهارة من خلال ألفاظ مثل "الفجر، القمر، الضوء، الضياء" في المجموعة الأولى، و"شعاع، الفجر، الثلج، النجوم" في الثانية، مما يشير إلى توق الشاعرة للخلاص والنور وسط عتمة التجربة الإنسانية.
4. اللون الأخضر جاء في المرتبة الثالثة، حيث تكرر (10) مرات بالألفاظ غير المباشرة في المجموعة الأولى مقابل (3) مرات مباشرة، وتكرر (6) مرات غير مباشرة مقابل (6) مرات مباشرة في المجموعة الثانية. يرتبط هذا اللون بالطبيعة والحياة والأمل من خلال ألفاظ مثل "العشب، الأشجار، الغابات، الربيع، نوروز، حدائق" في الأولى، و"الحديقة، الشجر، الغابات، الربيع" في الثانية، مما يعكس حنين الشاعرة للطبيعة والحياة.
5. اللون الأحمر ظهر بتكرار متوسط، حيث بلغ (8) مرات غير مباشرة مقابل (5) مرات مباشرة في المجموعة الأولى، و(9) مرات غير مباشرة مقابل (4) مرات مباشرة في الثانية. يحمل هذا اللون دلالات متنوعة تتراوح بين الحب والعنف والتضحية من خلال ألفاظ مثل "الياقوت، الدم، ورد" في الأولى، و"الورد، الدماء، الشهيد، الدم" في الثانية.
6. أما اللون الأزرق فقد جاء بأقل تكرار، حيث ظهر (4) مرات غير مباشرة ومرة واحدة مباشرة في المجموعة الأولى، و(6) مرات غير مباشرة و(3) مرات مباشرة في الثانية، مرتبطاً بالطبيعة والسكينة من خلال ألفاظ "البحر، سماء" في كلتا المجموعتين. واللون الأصفر كان الأقل حضوراً، حيث لم يظهر مباشرة في المجموعة الأولى وظهر مرتين في الثانية، بينما تكرر (3) مرات غير مباشرة في الأولى و(7) مرات في الثانية، مرتبطاً بـ"أوراق الخريف، الشمس، القمح".
7. تكشف هذه النتائج عن ثراء التجربة اللونية عند لميعة عباس عمارة وقدرتها على توظيف الألوان كرموز شعرية تعبر عن حالاتها النفسية وتجربتها الإنسانية، حيث تتنوع بين السواد المهيمن الذي يعكس القلق والحزن، والبياض الذي يمثل الأمل والنور، والأخضر الذي يجسد الحياة والطبيعة، مع استخدام محدود للألوان الأخرى التي تأتي لتكمل اللوحة الشعرية الغنية بالدلالات والإيحاءات.

الهوامش والإحالات:

[1].جمال، إيقاع الألوان في شعر عزّ الدين المناصرة، ص102
[2]. الدجيلي، صورة المرأة عند الشاعرة لميعة عباس عمارة، ص116
[3]. بدوي، أدب المرأة العراقية في القرن العشرين، ص 192
[4]. المصدر نفسه، ص199
[5]. ينظر: عمر، اللغة واللون، ص13
[6]. البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطورها)، ص 30
[7]. عقيل، ألوان مكتوبة، ص59
[8]. هزّاع الزّواهرة، اللّون ودلالاته في الشّعر؛ الشّعر الأردني نموذجاً، ص228
[9]. أقدح، الصورة الشعرية عند المعتمد بن عباد، ص59
[10]. ينظر: عمر، اللغة واللون، ص210
[11]. ينظر: عجينة، موسوعة أساطير العرب الجاهلية ودلالاتها، ص 291
[12]. عمارة، لو أنبأني العُرّاف، ص 25
[13]. المصدر نفسه، ص 20
[14]. عمارة، البعد الأخير، ص 91
[15]. المصدر نفسه، ص 18
[16]. عمارة، البعد الأخير، ص 96
[17]. ينظر: إبراهيم، قاموس الألوان عند العرب، ص 77 - 94

[18]. ينظر: عجينة، موسوعة أساطير العرب الجاهلية ودلالاتها، ص 200
[19]. عمارة، لو أنبأني العُرّاف، ص 90-91
[20]. عمارة، البعد الأخير، ص 77
[21]. المصدر نفسه، ص 84
[22]. عمارة، البعد الأخير: ص 85
[23]. عمارة، لو أنبأني العُرّاف: ص 61
[24]. ينظر: عمارة، لو أنبأني العُرّاف، ص 60
[25]. إبراهيم، قاموس الألوان عند العرب، ص 24
[26]. الثعالبي، فقه اللغة وسرّ العربية، ص 113
[27]. عمر، اللغة واللون، ص41
[28]. عمارة، البعد الأخير، ص 119-120
[29]. عمارة، لو أنبأني العُرّاف، ص 95
[30]. القرعان، الوشم والوشي في الشعر الجاهلي، ص 128-124
[31]. عمارة، لو أنبأني العُرّاف: ص 20
[32]. ينظر: غطّاس، الرمزية والأدب الحديث، ص 94
[33]. عمر، اللغة واللون، ص74
[34]. المصدر نفسه، ص 74
[35]. عمارة، البعد الأخير، ص 36
[36]. طه، الآية 102
[37]. ينظر: قائمي، جماليات اللون في القرآن الكريم، ص 385
[38]. ينظر: أبوعون، اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، ص 52
[39]. عمارة، لو أنبأني العُرّاف، ص 16-18
[40]. المصدر نفسه، ص 85-86
[41]. عمارة، لو أنبأني العُرّاف، ص 29
[42]. المصدر نفسه، ص 103 و104
[43]. عمارة، لو أنبأني العُرّاف، ص 93 -94
[44]. ينظر: إبراهيم، الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، ص 6
[45]. ينظر: جبور، المعجم الأدبي، ص186
[46]. عمارة، البعد الأخير، ص 36
[47]. عمارة، لو أنبأني العُرّاف، ص 111
[48]. عمارة، البعد الأخير، ص 54
[49]. عمارة، لو أنبأني العُرّاف، ص 66
[50]. عمارة، البعد الأخير، ص 52 و53
[51]. عمارة، لو أنبأني العُرّاف، ص 98 -99
[52]. المصدر نفسه، ص 30
[53]. عمارة، البعد الأخير، ص 13

المصادر والمراجع

1- أبو عون، أمل محمود. (2003م). *اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي*. رسالة ماجستير. نابلس: كلية الدراسات العليا في جامعة االنجاح الوطنية.
2- إبراهيم، حور محمّد. (د.ت). *الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي*. قسنطينة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر.
3- إبراهيم، عبد الحميد. (1989م). *قاموس الألوان عند العرب*. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.
4- أقدح، حسناء. (2012م). الصورة الشعرية عند المعتمد بن عباد. دمشق: مجلّة جامعة دمشق. المجلد 28. العدد 2.
5- البطل، علي. (1980م). *الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصولها وتطورها)*. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر.
6- بدوي، طبانة. (1974م). *أدب المرأة العراقية في القرن العشرين*. بيروت: دار الثقافة.

7- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمّد. (1998م). *فقه اللغة وسرّ العربية*. بيروت: دار الكتب العلمية.

8- جبور، عبد النور (1984م). *المعجم الأدبي*. بيروت: دار العلم للملايين.

9- جمال، أحمد حيدر محمّد (2012م). إيقاع الألوان في شعر عزّ الدين المناصرة. غزة: مجلّة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية. المجلد 20، العدد1.

10- الدجيلي، منى صالح حسن (2015م). *صورة المرأة عند الشاعرة لميعة عباس عمارة*. مجلّة كلية التربية للبنات. مجلد 15. العدد 1. العراق: جامعة القادسية.

11- هزّاع الزواهرة، طاهر محمد (2008م). *اللّون ودلالاته في الشّعر؛ الشّعر الأردني نموذجاً*. عمان: دار الحامد للنّشر والتّوزيع.

12- عجينة، محمد. (1994م). *موسوعة أساطير العرب الجاهلية ودلالاتها*. بيروت: دار الفارابي.

13- عقيل، جهاد. (2001م). *ألوان مكتوبة*. دمشق: مجلّة الموقف الأدبي.

14- عمارة، لميعة عبّاس. (1985م). *لو أنبأني العُرّاف*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

15- عمارة، لميعة عباس. (د.ت). *البعد الأخير*. بغداد: مطبعة ديانا.

16- عمر، أحمد مختار. (1997م). *اللغة واللون*. القاهرة: عالم الكتب للنشر والتوزيع.

17- غطّاس، كرم أنطوان. (1949م). *الرمزية والأدب الحديث*. بيروت: دار الكشّاف.

18- قائمي، مرتضى. (1429هـ). *جماليات اللون في القرآن الكريم*. إيران: مجلة آفاق الحضارة الإسلامية. العدد21.

19- القرعان، فايز عارف سليمان (1984م). *الوشم والوشي في الشعر الجاهلي*. رسالة جامعية، جامعة اليرموك.

المستخلص باللغة الانكليزية

This study aims to analyze the color imagery in the poetry of the Iraqi poet Lamia Abbas Amara, one of the most prominent female voices in modern Arabic literature, and to reveal its semantic and aesthetic dimensions through her last two poetry collections: "If the Fortune Teller Had Told Me" and "The Last Distance." The research is based on the centrality of poetic imagery as a key element in the artistic structure of the poem, and it focuses specifically on color imagery due to its remarkable ability to stir emotions and move the reader's feelings, in addition to its role in embodying abstract meanings and rendering them more accessible to the audience. The analytical descriptive method was employed, alongside statistical analysis, to ensure accuracy and comprehensiveness in tracing colors and their meanings throughout the selected texts. The results show that the poet predominantly relies on indirect references to colors rather than direct ones, with a total of 75 indirect color expressions compared to 19–29 direct color terms across both collections. This reflects her tendency toward suggestion and color symbolism. Black dominates the poetic scene, appearing 35–38 times in indirect expressions, demonstrating the poet's psychological state and her preoccupation with themes of sadness, anxiety, and fear through words such as "night," "darkness," "sunset," "fear," and "wars." White comes second, appearing 12 times indirectly, associated with hope, light, and purity through terms like "dawn," "moon," "light," and "stars," while green ranks third, connected to nature, life, and hope via words like "grass," "trees," "spring," and "gardens." Red carries diverse connotations, ranging from love and violence to sacrifice, as reflected in terms like "blood," "rose," and "martyr." Blue is mostly tied to nature and tranquility through "sea" and "sky," whereas yellow has the least presence, linked to "autumn," "sun," and "wheat." These findings affirm that Lamia Abbas Amara did not employ colors arbitrarily but rather utilized them as well-crafted poetic symbols that bear distinctive signals and meanings, reflecting her personal vision of existence and her experiences as an Arab woman witnessing the social and political transformations of the twentieth century. Her innovative artistic approach embodies her hopes, pains, and broken dreams, enriching contemporary Arabic poetry and presenting a unique model of using color as an expressive tool with profound psychological, social, and political dimensions.